



أصوات بين الحلم والمعاناة

أصوات | بين الحلم والمعاناة

مركز التنمية الإعلام المجتمعي (CDMC)

هو منظمة غير حكومية مستقلة وغير ربحية تأسست في يناير 2007 في غزة، ومسجلة تحت الرقم 563142827. يعتمد المركز نهجًا قائمًا على حقوق الإنسان لتمكين المجتمعات المهمشة خصوصًا النساء والشباب والصحفيين، مما يساعدهم على رفع أصواتهم، والتأثير على صنع القرار، وممارسة المواطنة الفاعلة.

يطمح المركز للوصول إعلاميًا فلسطينيًا نابضًا بالحياة وذو تأثير يعزز حقوق الإنسان وسيادة القانون والديمقراطية والمواطنة، ويعزز العدالة الاجتماعية والحرية والازدهار. من خلال برامجه ومبادراته، يعمل المركز على تعزيز الدعم العام لحقوق واهتمامات الفئات المهمشة وخاصة النساء والشباب من خلال استخدام وسائل الإعلام التقليدية والجديدة لتعزيز ثقافة حقوق الإنسان والمساواة والعدالة في المجتمع الفلسطيني.

رؤيتنا: أن تكون منظمة رائدة في التنمية والإعلام تستخدم الإعلام كمنصة للدفاع عن حقوق الإنسان والمواطنة، ولتعزيز العدالة الاجتماعية، والحرية، والحوار الديمقراطي، والازدهار.

رسالتنا: بصفته منظمة مستقلة غير ربحية للمجتمع المدني، يسعى المركز إلى تعزيز دور الإعلام كقائد للدفاع عن حقوق الإنسان، والمشاركة في قضايا المواطنة، والمشاركة الديمقراطية، مع تعزيز العدالة الاجتماعية والحرية في جميع قطاعات المجتمع الفلسطيني.

الأهداف الاستراتيجية:

- تعزيز المساواة والاستجابة بين المسؤولين وأصحاب الواجب من خلال تعزيز حقوق الإنسان، وتشجيع المشاركة المدنية، وضمان المساواة بين الجنسين، ومكافحة جميع أشكال العنف القائم على النوع الاجتماعي بما في ذلك العنف الرقمي.
- تعزيز اتخاذ القرار القائم على المعرفة في مجالات حقوق الإنسان، والمساواة بين الجنسين، والمشاركة المدنية، والتمكين الاقتصادي للنساء والشباب.
- تطوير قدرات وقابلية التوظيف للصحفيين والنساء والشباب، وتوسيع فرصهم في سوق العمل وتحسين مرونتهم الاقتصادية.

أصوات | بين الحلم والمعاناة

إنها ليست مجرد قصص صحفية، بل هي شهادات حيّة لنساء من قطاع غزة، وجدن أنفسهن في قلب حرب إبادة لم يشهد التاريخ المعاصر قساوتها من قبل. شهادات تروي الألم، والفقد، وتسرد الخوف والمعاناة، لكنها في الوقت ذاته تحفظ الكرامة الإنسانية وتتمسك بالحلم، رغم كل ما حاولت الحرب أن تقتله.

خلال حرب الإبادة على غزة، كانت النساء في الصفوف الأولى يتحدّين المعاناة: أمهات فقدن أبناءهن، زوجات ترمّلن، فتيات سُلبن الأمان والخصوصية، ونساء حملن أعباء البقاء وسط الدمار والنزوح والجوع والخوف. وفي ظل هذا الواقع، أدرك مركز التنمية والإعلام المجتمعي أهمية الاستماع إلى أصوات النساء، وتوثيق تجاربهن كما عشنها، وبكلماتهن هنّ.

يأتي هذا الكتاب ثمرة جهد صحفي وإنساني هدفه توثيق الانتهاكات من منظور نسوي، إنساني وحقوقى، وحفظ الذاكرة الجماعية، ومواجهة محاولات طمس الحقيقة أو اختزالها في أرقام وإحصاءات.

القصص الواردة هنا ليست روايات فردية معزولة، بل تمثل جزءًا من سياق أوسع لانتهاكات جسيمة طالت المدنيين، وتحديدًا النساء، وسحقت أبسط حقوق الإنسان.

إننا نؤمن أن السرد الصحفي، حين يكون مسؤولًا وأخلاقيًا، يتحول إلى أداة للعدالة والمساءلة، وإلى مساحة آمنة للبوح والتعبير، خاصة في سياقات العنف والصدمات الجماعية. ومن هذا المنطلق، يشكّل هذا الكتاب مساهمة في التوثيق الحقوقي، وفي دعم الجهود الرامية إلى الاعتراف بمعاناة النساء، وحمايتهن، وإنصافهن.

أصوات بين الحلم والمعاناة هو دعوة للاستماع، لا للشفقة، بل للفهم والمسؤولية. هو رسالة إلى العالم بأن وراء كل رقم حكاية، ووراء كل حكاية امرأة ما زالت تحلم بالحياة، رغم كل المعاناة.

في مركز التنمية والإعلام المجتمعي، نعتبر هذا العمل جزءًا من التزامنا بدعم الإعلام الحقوقي الإنساني، وتمكين النساء، واستخدام السرد كأداة للتغيير، والعدالة، وحفظ الذاكرة.

نأمل أن يجد هذا الكتاب طريقه إلى القلوب والعقول، وأن يكون خطوة إضافية نحو الاعتراف بالحقيقة، واحترام كرامة الضحايا، والعمل من أجل مستقبل أكثر عدلًا وإنسانية.

مديرة مركز التنمية والإعلام المجتمعي
عندليب عدوان

الإشراف العام
عندليب عدوان

متابعة وتنسيق
خلود السوالمه
سلطان ناصر جحا

متابعة مالية
نوره العشي

متابعة ميدانية
فدوي عبد الله

إنتاج



فريق العمل

الصحفيات:

هيا بشبش
ترنيم خاطر
دعاء برهوم
خديجة مطر
رفيف إسلیم
سالي الغوطي
هبة أبو عقلين
هبة الشريف
هديل الغرباوي
فدوي عبد الله
وردة الدريملي
ابتسام مهدي
سهاد الربايعة
أنسام القطاع
أنغام يوسف
بسمة أبو ناصر
رزو شراب
وصال ظهير
أمانی شنینو

الفهرس

1	آمال فقدت طفلتها
5	متفوّقة نزلت للقاهرة
9	كوابيس تلاحق عزيزة
13	راوية تتحدى الإعاقة
17	خالد جلس أياّمًا بجوار جثّة أبيه
21	أحياء في مقبرة جماعية
25	واجهت أهوال الحرب لتنجو بأطفالها
29	الفشل الكلوي تحت الإبادة
32	تعيش على المعونات منذ استشهاد زوجها
35	"لقد رحلوا جميعًا"
38	حزن أخير
40	قبور بلا أسماء
43	مصابة بالاكْتئاب
46	خوف وجوع ومواليد دون رعاية
49	يوسف يفقد عينه
51	اعتقال وتعذيب وإذلال
54	"تعبنا من كل شيء"
57	في انتظار أمل مفقود
60	هل نجت من ظلت وحيدة بعد مجزرة؟
62	الشلل يصيب مؤسسات ذوي الإعاقة في الحرب
66	(التحرش يلاحق النساء والفتيات
69	طريق آخر للموت
72	أمهات في انتظار مصير أبنائهن المجهول

أصوات | بين الحلم والمعاناة



كتبت الصحفية
هيا بشبش

حطّ السلاح براسي وحكالي بطخك وبطخها"... هكذا فقدت آمال طفلتها

رأيتهما يحملها غريبٌ يمشي أمام عيناوي وأنا لا أستطيع الحراك مكبلةً أجلس على الأرض - قرفصاء - أنتظر مصيرٌ خفي، مع مجموعة من المعتقلين، نظرتُ لطفلتي، أشارت لي بيدها فصرختُ بنتي بنتي، ليوجّه لي أحد جنود الاحتلال الإسرائيلي السلاح ويصرخ: (اسكتي بطخك وبطخها) فصمتُ وأكملت البكاء".

بهذه الكلمات تحدثت آمال صالح (19 عامًا) من مدينة جباليا شمال قطاع غزة، وهي تحكي كيف فقدت طفلتها على حاجزٍ للاحتلال الإسرائيلي، عندما احتجزها نهاراً كامل، حين حاولت النزوح إلى جنوب القطاع.

آمال: هربت من الموت بجباليا وضيعت بنتي على الحاجز بعد ما اعتقلوني أنا وأخويا

تقول آمال: "هربت من الموت بجباليا وضيعت بنتي على الحاجز بعد ما اعتقلوني أنا وأخويا". تحتضن آمال طفلتها حلا (عام و8 شهور)، وهي تروي تفاصيل ما مرّت به منذ بدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، التي شنتها الاحتلال يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023م وما زالت مستمرة.

كانت آمال تسكن مع زوجها وأسرتهم في "العلاوين" كما يسميها سكّانها بمدينة جباليا شمال قطاع غزة، حذر جيش الاحتلال البيت المقابل لبيتهم بالقصف، فلجأت هي وزوجها محمد نبهان (27 عامًا) إلى منزل عمّة زوجها الواقع في منتصف الحارة.

كان ذلك بتاريخ 20 نوفمبر/تشرين الثاني 2023م، تجمّع نحو 20 شخصًا من العائلة، كان زوج آمال وعائلته في غرفة واحدة قرب الباب، وابنة عمته فاطمة وأسرته المكوّنة من 8 أفراد في الغرفة الشمالية.

آمال: استشهدت فاطمة وزوجها وأولادها، حتى طفلها اللي كان يلعب معنا أخذته أمه ترضعه واستشهد معها

صمتت قليلًا وأكملت: "بعد صلاة المغرب انتهيت من إطعام طفلي حلا، هممت بوضع الطبق الفارغ في المطبخ، عندما وصلت الباب حدث انفجارٌ حوّل المكان إلى ركام".

تعرّض المربّع السكني الذي تسكنه لقصفٍ من طائرات الاحتلال استشهد بسببه (50) شخصًا لأكثر من عائلة، تضيف آمال: "استشهدت فاطمة وزوجها وأولادها، حتى طفلها اللي كان يلعب معنا أخذته أمه ترضعه واستشهد معها، وأصيب باقي من كان بالبيت، هربنا حفاة القدمين إلى مدخل الحارة، لتعرّض للقصف مرةً أخرى حين استهدف طيران الاحتلال منزل قريب لعائلة قدورة وهرع زوجي وإخوته لمساعدة من بقي في العائلة حيًا".

لجأ الناجون إلى منزل أحد أقاربهم بالمنطقة، ثم انتقلوا إلى مدرسة الرافعي، كانت آمال على تواصل مع أهلها النازحين إلى مدينة دير البلح وسط قطاع غزة، مثلما نزح مئات الآلاف من سكّان شمال القطاع يوم 13 أكتوبر/تشرين الأول 2023، حين أجبر الاحتلال المدنيين الفلسطينيين على ذلك في مخالفة لاتفاقية جنيف الرابعة التي تحظر التهجير القسري للمدنيين.

طلب أهل آمال من ابنتهم القدوم مع شقيقها أدهم (28 عامًا) إلى الجنوب، وبالفعل نزحت يوم 25 نوفمبر/تشرين الثاني 2023م، ورفض زوجها النزوح وبقي في جباليا.

عادت آمال للحديث: "تحركنا الساعة 7 صباحًا، والساعة 8 وربع وصلنا الحاجز المقام من جيش الاحتلال الإسرائيلي لتفتيش النازحين، كان في ازدحام، وقفنا ننتظر، صرخ الجندي (إم الشاة الحمرا والجلباب الأسود)".

"لم أكن أعلم أنني صاحبة الألوان المذكورة، نبّهني أخي، وأخذ صغيرتي حلا، حملها وهي تبكي، كان عمرها عام واحد فقط، توجهت والرعب يملأ أوصالي إلى المكان الذي أشار إليه الجنود، أجلسوني القرفصاء وكمبوا يداي وكنت أنتظر مصير مبهم".

هنا يكمل أدهم: "بعد دقائق صرخ الجندي (اللي حامل طفلة حطّها على الأرض وتعال) أعطيتها لامرأة خلفي، وتوجهت للجندي، لكن الجندي طلب من السيدة القدوم وأعطت الطفلة لابنها وعمره (12 عامًا)، هناك رأيت أختي مكبّلة، صُدمت عندما رأيتني، كنا نجهل مصيرنا ومصير الصغيرة التي أصبحت في أيدي غريبة".

مرّت الساعات ثقيلة متعبة، تصف آمال: "كنتُ أتابع برعبي ما يدور كانوا يأمرّون بعض النساء بخلع الحجاب، والتوجه للباب الأخضر، هناك ثلاث أبواب، أخضر، أحمر، أزرق، لا أعلم ماذا تعني هذه الألوان، لكن أغلب من يتوجه للون الأخضر يتعرض للتعذيب، كانت تخرج النساء منه معصوبة الأعين وبلا ملابس، مكبلات اليدين وعليهن أثر التعذيب".

أشارت آمال لجلبابها وقالت: "هذا هو ما كنت ألبسه، لقد أمرنا الجيش أن نضع كل ما نحمل على الأرض، لذلك لم تنجو الملابس، الساعة السادسة مساءً أمر جيش الاحتلال أخي بالتوجه إلى الجنوب، لم يصدّق إنه نجا، أشرت له بالبحث عن طفلي، لم يفهم ما أعني، وتوجه إلى الخارج، فرغ المكان ولم يبق سواي وعشرة نساء، جنود الاحتلال كانوا ياكلوا ويرقصوا وبعدها طلّعوا على تلة جنب الحاجز ووجهوا قناصتهم علينا حوالي 10 دقائق".

وتنص اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، في مادتها (147) على حظر اقتلاع أفعال ضد المدنيين ومنها القتل العمد، التعذيب، والحجز غير المشروع، وتعتمد إحداث آلام شديدة أو الإضرار بالسلامة البدنية أو بالصحة، وضمنت حماية خاصة بالأطفال وقت النزاع، كما نص قرار مجلس الأمن (1325) في المادة (10) على دعوة أطراف النزاع لاتخاذ تدابير خاصة لحماية النساء والفتيات. حبست آمال أنفاسها وهي تشاهد النساء كل منهن لها أسرة تنتظرها، تقول: "توقعنا أنها النهاية، مرّت الدقائق العشر كأنها 10 سنوات، بعدها أمرنا جيش الاحتلال بالتوجه نحو الجنوب، كنت أفكر في صغيرتي، طمأننتني سيدة كانت تجلس بجانبني من عائلة المبحوح إن أخي أعطاه لها وهي أعطتها لابنها وأن إخوتها بانتظارها بعد الحاجز، لكن السيدة لم تخرج من المعتقل حتى الآن". عودة لأدهم الذي كان ينتظر أخته بعد الحاجز الذي فرغ من الجميع، إلا بعض سائقي التاكسي والكارات، عندما خرج باحثًا عن حلا، سأل الجميع عنها ولم يجدها، قال له أحدهم هناك رجل كان ينتظر خروج أهل الطفلة وهو يحملها. يقول أدهم: "علمت لاحقًا إن ابن السيدة بعد خروجه من الحاجز وضع الطفلة على الأرض وركض لأخواله ونسي أمر الطفلة، رجل غريب أحد الطفلة وانتظر خروج أهلها وبعدها مشي".

الساعة السادسة والنصف، خرجت آمال من الحاجز، استقبلها أدهم بيدين فارغتين، يقول: "سقطت آمال على الرصيف مغشي عليها، عندما لم تجد طفلتها معي أيقنت أنها ضاعت، توجهنا إلى كلية فلسطين التقنية في دير البلح، والتي لجأت لها عائلتنا عند نزوحها في 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2023م"، استقبلت العائلة الأخوين بالدموع، فليس هناك من فرحة.

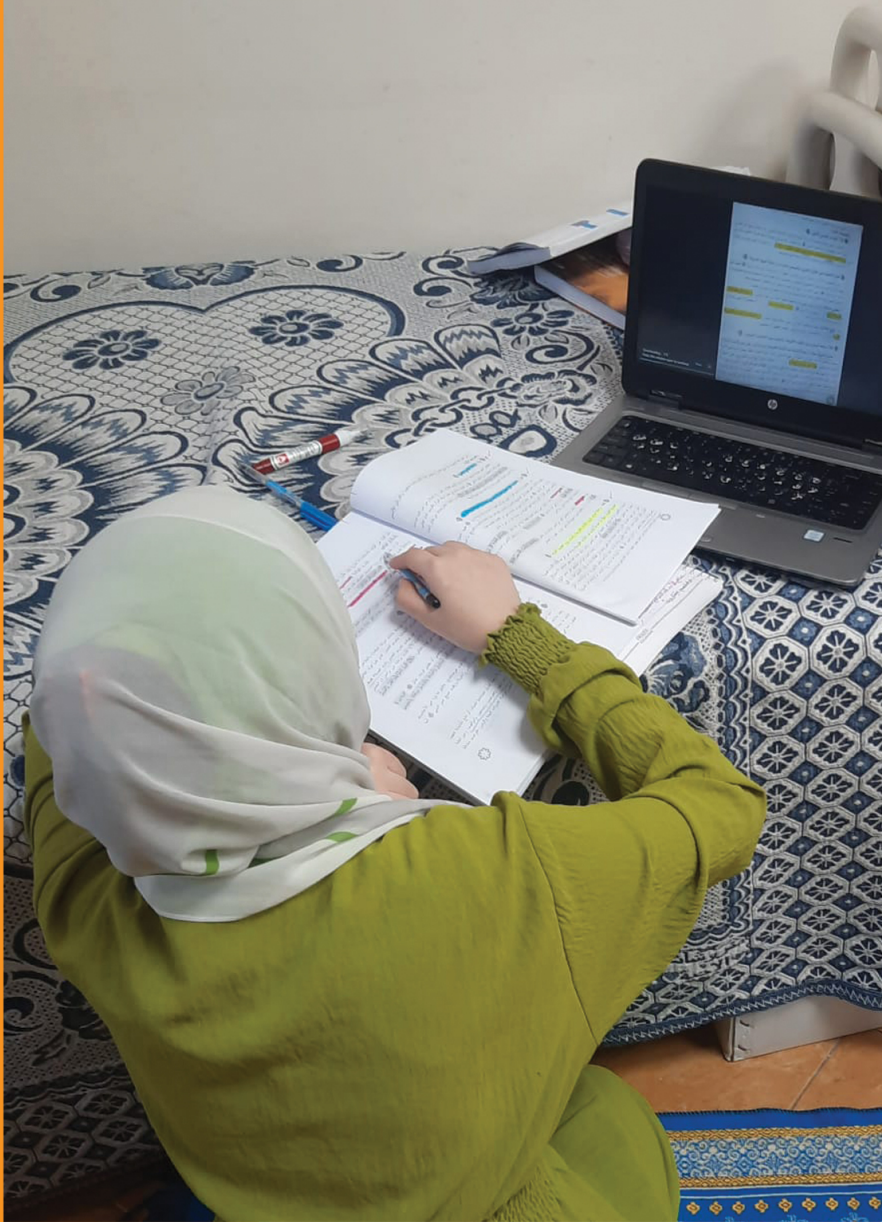
سرعان ما توجهت آمال إلى مستشفى شهداء الأقصى بحثًا عن طفلتها، تقول: "لم يبق مكان إلا وسألت عنها فيه، كانت ليلة قاسية، حضنت ملابس طفلي وبكيت حتى الصباح، لم أغمض عيني لحظة، منذ الساعة السابعة صباحًا بدأنا أنا وأدهم عملية البحث من جديد، في جميع مخيمات المحافظة الوسطى، قررت العودة للحاجز، رغم خطورة المكان، كنت على يقين أنني سأجدها".

في طريق صلاح الدين وبالتحديد مدخل مخيم البريج سأل أدهم أحد سائقي التاكسي عن الصغيرة، ليجيبه "صديقي وجد طفلة تحمل هذه المواصفات سأتصل به وسأعلمه، فأخبره أدهم أنهم متجهين للحاجز". أما آمال التي تملكها اليأس، عند وصولها قرب الحاجز، جلست على الرصيف منهكة، فتوقفت أمامهم سيارة تاكسي وسألهم سائقها: "انتو اللي بنتكم ضايعة، بنتك؟ هيها في خانيونس"، أخرج هاتفه من جيبه، وأشار إلى صورة فيه وقال: "هاي بنتك؟".

فرحةً عارمة اجتاحت كيان آمال وشقيقها أدهم، صعدوا معه إلى السيارة وتوجهوا إلى خانيونس، بعدما استبعدت أن تصل إلى هناك، وفي الطريق أخبرهم أنه شاهدها بعد الحاجز وحيدة وضعها طفل صغير وذهب، انتظر خروج ذويها من الحاجز، ولكنه فقد الأمل بعد إغلاق الحاجز، أحضر لها حليب صناعي ولكنها لم تتقبله ونامت مع والدته.

مخلص العموري (22 عامًا) من مدينة خانيونس، سائق تاكسي علم من صديقه إن هناك من يبحث عن الطفلة التي وجدها قبل يوم تحمل نفس المواصفات، فتوجه مسرعًا إلى الحاجز لعله يجدهم وبالفعل كانوا هناك، عادت حلا والتي صدفةً أطلق عليها مخلص نفس الاسم دون أن يعلم اسمها الحقيقي.

متفوقة نزلت للقاهرة... إيمان: الطريق للطب طويل لكن (يكتمل)



في إحدى زوايا المستشفى، حيث يكتنف الجدران البيضاء صمتًا مؤلمًا، تجلس إيمان برهوم (17 عامًا) على الأرض، بعدما حوّلت سريرًا طبيًا إلى مكتب للدراسة، وضعت عليه كتبها وأوراقها، لتصنع من الفوضى مكانًا مهينًا لحلمها الذي فارقه في قطاع غزة!

إيمان هي طالبة فلسطينية بالقسم العلمي، كانت تعيش مع أسرتها بمنزلهم شرق مدينة رفح جنوب قطاع غزة، لكن الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، التي اندلعت يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023م، دفعتها للنزوح، والتواجد مع والدتها في مستشفى بالعاصمة المصرية القاهرة، مع إخوتها الأربعة الذين اتخذوا من الأرض والكراسي البلاستيكية أماكن لنومهم.

تسترجع إيمان تفاصيل حياتها قبل الحرب، في منزلها الواقع على محور فيلادلفيا (شريط حدودي ضيق يقع بين قطاع غزة ومصر)، تقول: "كنت في الصف الثاني الثانوي، مضى شهرًا واحدًا على الدراسة، اجتهدت وثابرت، كنت حريصة على تنظيم يومي منذ بداية العام، لأحصل على معدل مرتفع، لأفريح أهلي بتفوقي كما كل عام".

إيمان: كل اللي بفكر فيه كيف أكون بأمان، وما أخسر حد من عيلتي

لم تتخيل إيمان أن تنقلب حياتها كليًا، فمنذ صغرها وهي تعمل بجدٍ رغبةً في التفوّق، تعقب: "الحرب بدّلت حلمي لواقع كل اللي بفكر فيه كيف أكون بأمان، وما أخسر حد من عيلتي"، وبدلًا من التحضير للاختبارات، أصبحت مهمتها إعداد الطعام على الحطب، ومساعدة إخوتها في تعبئة المياه، وأداء المهام الشاقّة التي فرضتها الحرب.

تفيض عينا إيمان بالدموع وهي تقول: "كان منزلنا جميلًا وكبيرًا، أنشأ أبي غرفةً مستقلةً لي ولإخوتي الستة، مجهزة بكل سبل الراحة وما يلزم الدراسة، حرص والدي ووالدتي على أن يكون لنا بيئة تعليمية مناسبة بالمنزل الذي دمّره الاحتلال، وأجبر عائلتي على النزوح المستمر بحثًا عن الأمان".

تشرح: "مع اشتداد القصف في منطقتنا؛ نزحنا إلى منزل أحد الأقارب، ولم نأخذ من منزلنا سوى حقائب صغيرة تحتوي الأوراق الرسمية، والقليل من الملابس، عدنا للبيت بعدما سمعنا أنه لن يتم قصف المنطقة، لكن الوضع كان صعبًا، أصوات قذائف وانفجارات لا تتوقف، حتى قُصف مسجد قرب منزلنا، نجونا بأعجوبة وقررنا المغادرة للمرة الثانية".

إيمان: ما كانش سهل أبدًا إنا نسيب بيتنا

تتوقف للحظة، ثم تأخذ نفسًا عميقًا وتواصل: "ما كانش سهل أبدًا إنا نسيب بيتنا اللي اتولدنا وكبرنا فيه، وكل زاوية فيه فيها ذكرى معانا، لكن البحث عن الأمان خلانا ننتقل إلى منزل أحد أقاربنا غرب مدينة رفح جنوب قطاع غزة، كان المنزل مليان بالنازحين من مختلف المحافظات، والحياة قاسية وصعبة لأبعد الحدود".

تجفف إيمان دموعها، لكن صوتها ما يزال مرتجفًا وهي تكمل: "هذه الظروف جعلت الخصوصية حلمًا، لم يكن لدي مكان مخصص للنوم، أنام مع والدي ووالدتي وإخوتي في غرفة واحدة متلاصقين على الأرض، بين جموع الناس، اضطررنا لاستخدام الحطب والنار للطهي، وجباتنا كانت بسيطة عبارة عن معلبات لعدم توفر الغاز، حاولنا الحفاظ على الكمية التي استطعنا إعدادها، ومنح كل واحد حصة يومية من الطعام، فالمتوفر بالكاد يكفي".

وتستدرك إن الاحتلال دمّر منزلهم تمامًا بتاريخ 20 ديسمبر/كانون الأول 2023م، وكل شيء تغيّر، فالسعادة تحطمت مع زجاج البيت، والشعور بفقدان الأمان أشدّ قسوة من القصف، لم يكن الأمر مجرد قصف بيت؛ بل فقدان الاستقرار، تكمل: "أتذكر تلك اللحظات وكأنها حلم لم أستطع الاستيقاظ منه".

بينما تجاهد إيمان لمواصلة الحديث، تقاطعها والدتها أم مجاهد: "الأيام الصعبة ستمضي، ما عشناه بالحرب كان قاسيًا، لم أتخيل أن أعيش لأشهر بلا كهرباء، مع منع الاحتلال دخول الوقود إلى قطاع غزة وتوقف محطة الكهرباء عن العمل، كنا نعيش في غرفة مظلمة، إلا من ضوء خافت لكشاف أحد الهواتف النقالة الذي سرعان ما ينطفئ، وهو ما كان يزيد خوفنا، كانت ساعات الليل موحشة، شعرت أنني منفصلة عن العالم الخارجي، لعدم توفر تلفزيون ولا انترنت".

تضحك وهي تروي تجربتها الأولى حين ركبت عربة كارو (عربة تجرها الدواب)، فقد كان وسيلة النقل الوحيدة المتوفرة، إثر توقّف السيارات

بسبب منع الاحتلال إدخال الوقود إلى قطاع غزة، تقول: "كنت خائفة وضليت أحاول أركب الكارّة ومش عارفة، التقطت صورة (سيلفي) لتوثيق التجربة، لكن سرعان ما شعرت بالخوف من الاستهداف الإسرائيلي الذي يضرب كل شيء".

لكن ما زاد قلق الأم، هو تدهور حالتها الصحية بعد توقّفها عن المتابعة والمراجعة الطبية في مستشفى الصداقة التركي، الوحيد الخاص بأمراض السرطان في قطاع غزة، حيث اكتشفت عام 2019م، إصابتها بسرطان الدم، وخضعت لبروتوكولات علاجية مكثفة؛ خارج وداخل قطاع غزة.

تتابع: "في الحرب، نصحني الطبيب بضرورة أن أقدم تحويلة للعلاج بالخارج، تم تقديم الطلب بتاريخ 30 يناير/كانون الثاني 2024م، وحصلت عليها بتاريخ 16 مارس/آذار 2024م، وحين قررت أخذ أبنائي الستة معي، سُمح لي بأربعة فقط (إيمان، محمد، يوسف، وريما)، وبقي (مجاهد، وسليمان) مع والدهم في القطاع".

أم مجاهد: من لحظة ما ودعتهم ودموعي ما وقفت

لم يكن قرار السفر سهلاً على الأم في ظل تواصل الحرب، لكن زوجها شجعها لمواصلة العلاج، تعقّب: "من لحظة ما ودعتهم ودموعي ما وقفت لغاية ما وصلت مصر، لكن ما كان بإيدي غير إني أسلمهم لربنا وأمشي".

خلال وجودها بمصر، أعلنت السفارة الفلسطينية فتح باب التسجيل للدراسة الالكترونية لطلبة قطاع غزة النازحين في الخارج، شعرت الأم بالراحة نسبياً، لكن الظروف لم تكن سهلة، ثلاثة من أبنائها فقط تمكّنوا من التسجيل، وواجه محمد مشكلة لم يتم حلّها، إضافة إلى عدم توفر أجهزة حاسوب، وإقامتهم في مستشفى، تتداخل مواعيد الكثير من الحصص بين الأشقاء، كما أن الانترنت غير متوفر، فتشتري بطاقات لا تسمح بتحميل الملفات والصور، عدا تكلفتها المرتفعة.

تلتقط إيمان طرف الحديث من والدتها وتكمل مستذكرة أيامها السابقة وغرفتها ومعلماتها اللواتي لم يبخلن يوماً بالمعلومة، مع اجتهداها ومثابرتها.

تقول: "حالياً أحاول التغلب على ضعف الانترنت، وصعوبة الحصول على المواد الدراسية بالمتابعة مع المدرسين عبر حصص (الأون لاين)، ومراجعة الدروس على اليوتيوب وتنظيم الوقت، صحيح لا يوجد مدارس ولا معلمين أستاذيهم، لكن أدرك أن الطريق لحلمي إني أدرس طب صعب بعرف وطويل، بس أبدا مش مسكر، وحنكمل في النضال لحد ما أوصل للنهاية".

تستمر إيمان في عدم الاستسلام للواقع، تقول: "أستخدم كل الإمكانيات المتوفرة، أطلب المساعدة من الممرضين والأصدقاء للحصول على ما أحاجه من ملازم، أرتب يومي، أنام وأستيقظ مبكراً، رغم صعوبة ذلك مع تواجد إخوتي بنفس الغرفة، منهم من يرغب بالحديث، ومنهم من يريد اللعب، ومن يريد إشعال الكهرباء، أتحدى كل هذه الظروف".

وتنص اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب في مادتها (50) على أن تكفل دولة الاحتلال، بالاستعانة بالسلطات الوطنية والمحلية، حسن تشغيل المنشآت المخصصة لرعاية الأطفال وتعليمهم، إلا أن طلبة قطاع غزة حُرموا هذا الحق، ومنهم مجاهد شقيق إيمان الذي يفترض أن يلتحق بامتحانات الثانوية العامة، لكنه حُرم إلى جانب 39 ألف طالبة وطالبًا.

إيمان: أنا صوت لكل طالب فلسطيني لحتى يضل الأمل فينا

تُدرِك إيمان حجم الفجوة التي يعيشها الطلاب في قطاع غزة، حيث يفقد الكثيرون فرصة التعلم بسبب انقطاع الكهرباء، الإنترنت، والموارد التعليمية، وتدمير المدارس والجامعات، واستهداف الكوادر التعليمية، وسوء الأوضاع الاقتصادية، عدا عن عدم استقرار الأوضاع وغياب الأمان.

تشعر بالحزن، لكنها تعود وتُشعر نفسها بالقوة، مدفوعة بأمل أن الفرج قريب، مُحفزة شقيقها مجاهد على ضرورة الدراسة والاجتهاد خلال العام الجديد ليتخطى مرحلة الثانوية العامة رغم كل الصعوبات، وتذكّره أن المستقبل لا يزال مفتوحًا أمامهما، مهما كانت التحديات.

تضيف بفخر: "أحاول الاطمئنان على والدي وأخي مجاهد وسليمان، هم الآن في خيمة تفتقر لأدنى مقومات الحياة، والاتصال عبر الإنترنت صعب، نقضي الوقت ليلاً ونهارًا على قنوات الأخبار والواتساب نتابع ما يجري، ونعلم أولًا بأول أماكن القصف، أحرص في كل محادثة معهم ومع صديقاتي في غزة، أن أشجعهم على الصمود والحرص على التعليم فهو سلاحنا الأقوى في مواجهة التحديات".
تختتم إيمان: "أنا صوت كل طالب فلسطيني لحتى يضل الأمل فينا طول العمر".



كتبت الصحفية
دعاء برهوم

(بتمنى أرجع على حي الصبرة)... كوابيس تلاحق (عزيزة) في نزوحها

"شالوني طول الطريق حتى وصلنا الحاجز ومَرَّينا عن الحلابات". بهذه الكلمات بدأت الحاجة عزيزة ريشة (67 عامًا) تروي معاناتها التي امتدت على مدار (10) أشهرٍ من رحلة نزوح شاقّة، بحثًا عن الأمان المفقود منذ بدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة. تقول الحاجة التي نزحت من حي الصبرة وسط مدينة غزة، إلى خيمةٍ من القماش المهترئ في منطقة المواصي غرب مدينة خانيونس جنوب قطاع غزة: "كان لنا بيت متواضع نصفه من ألواح الزينكو والنصف الآخر من الباطون المسلّح، كانت تحفنا الألفة والمحبة، لكن الفقر لا بسنا لیس من زمان بس الحمد لله".

تسند عزيزة ظهرها إلى عمود خشبي وسط خيمتها بمواصي خانيونس، وهي تروي كيف استشهد حفيدها بسبب نقص الدواء، ونزوحها 5 مرات، أولها يوم 2023/11/26 عندما أطلقت الطائرات الحربية الإسرائيلية صواريخها بشكلٍ عشوائيٍ على منطقة سكنها وبدء الجيران بالإخلاء للنجاة بأسرهم وأرواحهم، بعد استشهاد العديد من الأشخاص وتناثر أشلاءهم في الشارع. وكان جيش الاحتلال الإسرائيلي، أعلن يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023م الحرب على قطاع غزة، وسرعان ما أجبر العائلات الفلسطينية من سكّان شمال القطاع على النزوح جنوب وادي غزة يوم 13 أكتوبر/تشرين الأول، لكن ثمة عائلات أصرت على البقاء، إلا أن مئات الآلاف منهم نزحوا لاحقًا مثلما حدث مع عائلة عزيزة.

تمسح دمعة سقطت على وجنتيها: "ما كان بدنا نطلع من الدار لكن أولادي أحمد ومحمود أقنعوا أبوهم وطلعنا"، فبعد شهر ونصف من الحرب، كان زوجها الحاج محمد ريشة (74 عامًا) مصرًا على البقاء في البيت بسبب عجزهم عن المشي لمسافات طويلة، لكن أبناءه أقنعوه، فهو يسير على كرسي متحرك، وزوجته عزيزة تستخدم أداة مساعدة (ووكر). ويتنافى ما حدث مع عزيزة مع المادة (17) من اتفاقية جنيف عام 1949 التي أقرت نقل الجرحى والمرضى والعجزة والمسنين والأطفال والنساء النفاس إلى أماكن آمنة، كما نصت المادة (22) احترام وحماية عمليات النقل.

الحاجة عزيزة: بتمنى أروح على الصبرة ما بدى أنزح ثاني

عزيزة هي أم لـ (11 ابنًا) و لديها (35 حفيدًا)، نزحت بهم جميعًا إلى جنوب قطاع غزة، في محاولة للنجاة بحياتهم، حطت رحالها أول مرة في مدينة دير البلح وسط قطاع غزة ليلتين في الشارع، تقول: "قعدنا يومين بالشارع ما عرفنا وين نروح لحدّ ما الأولاد لقوا مكان"، بعدها نزحت إلى خانيونس في فصل بأحد مراكز الإيواء (مدرسة)، كانت حياة صعبة ولكن "مجبورين نعيشها"، تقول عزيزة. حياة النزوح بالمدرسة شاقّة، تفتقد للخصوصية، كما تصفها عزيزة وتكمل: "أنا مريضة سكري وكل دقيقة بحتاج أروح ع الحمام، الطابور على دورات المياه طويل جدّا، بانتظر لحد ما يبجي دوري، هذا غير التخطيط على الباب مع كلمة يلا خلصوا، فلا راحة في بيت الراحة". الأصعب من ذلك انتشار الأمراض المعدية بسبب تكدّس النازحين، والدخان المتصاعد من أفران الطين التي أثّرت عليها بشكل كبير. بعد شهرين، في 3 يناير/كانون الثاني 2024م، ألقت طائرات الاحتلال مناشير تطالب بإخلاء المدرسة، فكان نزوحهم الثالث إلى مدينة رفح جنوب قطاع غزة، في خيمة بمنطقة بركسات الوكالة غرب المدينة، "عيشة الخيمة جهنّم في الصيف وموت من السقعة في الشتاء، هذا غير الحشرات اللي طول اليوم تقرّص فينا"، تقول عزيزة.

تقلّب الجدّة عزيزة صورًا لإحفاذها على الهاتف المحمول، ومعهم الصغير (محمد) الذي كان يلهو بينهم ذات يوم. تمسح دمعته بمنديلها وتوضح: "محمد كان عمره عام ونصف، وُلد بوضع صحي غير مستقر، نتيجة فيروس في الجسم، يتلقى كل ثلاثة أشهر علاجًا في الضفة الغربية، كان موعد انتقاله إلى هناك في منتصف أكتوبر/تشرين الأول 2023م، الحرب حصدت روحه في 20 يناير/كانون الأول 2024م بعد تدهور صحته".

تأخذ عزيزة نفسًا عميقًا وتكمل: "أنا مريضة بعدة أمراض، أجريت عدّة عمليات منها استئصال الرحم وعملية قلب مفتوح، بأخذ 18 حبة دوا، زوجي مريض سكر من سنة 2018، ونتيجته إنه يصاب بغيبوبة، خلال عملية النزوح التهاب جرح في قدمه أدى إلى غرغرينا وبتر في ساقه اليمنى، وأخشى على قدمه اليسرى من البتر بسبب الجراثيم المنتشرة في الخيمة، والرمل في كل زاوية، وعلى قدّ ما نكنّس ع الغاضي، الدكاترة حكوا حافظوا على رجله بلاش يتم بترها زي الرجل الثانية".

تتنهد بحزن "ما في أي معقمات ولا أدوات نظافة، اضطررنا نستخدم البريل المصنَّع محليًا بدل الشامبو والصابون في الاستحمام، وأصبنا بسببها بحبوب في الجلد وبقع بنية، فمواد التنظيف بمختلف أنواعها معدومة في السوق بسبب إغلاق المعابر، وإذا وُجدت تكون بأسعار خيالية".

في الخيمة، تخوض عزيزة حربًا أخرى لتوفير متطلبات الحياة لزوجها، تقول: "أبو مصباح كالأطفال، كل حاجة بدو إياها"، فهذا عبء كبير ألقي على كاهلي، كان قبل الحرب يعمل حارسًا لأحد البنايات وكنا نعتاش منها، لكن في الحرب توقف عن العمل، والغلاء الفاحش حرماننا أبسط المتطلبات "صعب علينا العيشة وصرنا نخوض حربين، نعتمد كليًا على المساعدات والتكيات، ومع ذلك مصاريفنا زادت فكل زيارة للمستشفى مكلفة".

أحمد ابن عزيزة: على أساس نرجع بعد أسبوعين أو ثلاثة بس طولت

يجلس بجوار عزيزة ابنها الأصغر أحمد (30 عامًا)، يروي ما حدث ليلة إجبارهم على النزوح من حي الصبرة إلى الجنوب: "استيقظت ليلاً على صوت قصف وانفجارات، ارتعبنا جميعاً، حضنتُ أطفالي الثلاثة عزيزة (6 سنوات)، معتصم (5 سنوات) ولمياء (عام واحد)، حتى بزغ الصباح وأقنعت والدي بالنزوح، حملنا أشياء بسيطة، على أساس نرجع بعد أسبوع أو أسبوعين أو ثلاثة، ولكن دخلنا الشهر 11 ولسة ما رجعنا".

"خمس ساعات مشي على رجلي وأنا بدفع كرسي والدي المتحرّك قدامي، حتى وصلنا حاجز نتساريم العسكري جنوب مدينة غزة، تركنا الكرسي خلفنا وحملنا والدي أنا وأخي محمود حتى وصلنا المنطقة الوسطى، شاهدنا خلال نزوحنا جثث شهداء متحللة على الرصيف". أحمد الذي يعاني من مشكلة في سمعه نتيجة إصابة عمل في فكه الأيسر، يقول: "كنت أرى جنود الاحتلال يتعمدوا إطلاق النار على الناس المارين بالحاجز، في ناس خافت ورجعت على غزة، احنا ضلينا مكملين للجنوب".

ويُعدُّ ما تعرّضت له عزيزة وعائلتها انتهاك من قبل الاحتلال الإسرائيلي لاتفاقية جنيف الرابعة التي ضمنت الحماية للمدنيين وممتلكاتهم وقت الحرب والنزاع المسلح، والتي حظرت التهجير القسري للمدنيين، كما ويتنافى مع المادة (59) التي سمحت بإغاثة السكان وتوفير ما يلزمهم من إمدادات طبية وملابس وغذاء.

على باب الخيمة تجلس الحفيدة فداء (9 أعوام) استبدلنا طابور المدرسة الصباحي بطابور المياه لساعات، "بعد ما نعبي مية يبجي طابور التيكية" للحصول على ما يسد جوعنا من الطعام المطبوخ من المعلبات التي هتكت أجسادنا. ويتنافى ما حصل مع فداء، مع اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل لعام 1989م التي أكدت على حق الأطفال بالمعيشة في ظروف آمنة وصحية.

لم تتوقف معاناة فداء عند هذا الحدّ، بل إن هاجس الفقر لاحقها عندما فقدت شقيقها الطفل مُحمد (عام ونصف) نتيجة نقص الأدوية في المستشفيات فتوقف قلبه الصغير وفارق الحياة.

تكمّل: "نفسى أصحى من هالكابوس ونرجع للمدرسة وتنتهي هاد المعاناة"، في الحرب كبرنا أكبر من عمرنا وتحملنا أكثر من طاقتنا، فمع كل انفجار نرتعب ونخاف أن نفقد حياتنا ونكون من أعداد الشهداء".

عودة إلى عزيزة التي تختم: "ما عمرنا طلعنا من دارنا، ولا شفنا بهاد الإجرام"، من قتلى لآلاف الأطفال والنساء، وطحن أجسادهم تحت الدبابات وأنقاض منازلهم لشهور وما حدا قادر يطلعهم، الاحتلال دمّر كل شيء في القطاع".

راوية تتحدى الإعاقة وتواجه قسوة الحرب والنزوح أملًا في النجاة



أقراص الفلافل التي تصنع بها (الفراشيح) للزبائن، بينما تخفي خلف ابتسامتها قصة قهرٍ أصابتها نتيجة نزوحها من غزة، وخسارتها لبيتها ومشروع عمرها الذي كافحت من أجله 20 عامًا!

تفرد أقراص الفلافل داخل لفة من الخبز المرقق، ثم تباع زبائنًا تباغًا وهي تروي: "كان عليّ أنا وزوجي تحدي ظروفنا الصعبة كي نكمل حياتنا، أكثر إشي محسني بالقهر خسارتي لمشروع عمري " "راوية للمطرزات والإكسسوارات"-اللي تعبت عليه 20 سنة، وخسرت معه ميداليات حصلت عليها من مسابقات شاركت فيها".

في تفاصيل الحكاية، فقد نزحت راوية منذ بدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة يوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، ثلاث مرات برفقة عائلتها، حتى استقرّ بها الحال في محافظة دير البلح وسط قطاع غزة، داخل مخزن كان مخصصًا كورشة حدادة، فيه تعيش وتمارس مهنتها الجديدة "بيع فراشيح الفلافل".

يوم 28 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، قررت عائلة راوية النزوح إلى الجنوب سيرًا على الأقدام من منزلها في حي الشجاعية شرق مدينة غزة حتى الجنوب، وعلى مدار خمس ساعات كانت شاهدة على دمار شامل لحق بالمباني والبنية التحتية بينما تحوم طائرات الكوادر كابتز فوق رؤوسهم،

فيما حالفهم الحظ بشاحنة نقل مواشي أقلّتهم إلى الجنوب، لكن طائرة حربية أطلقت صاروخًا صوب شاحنة مجاورة، لتتناثر أشلاء رُكّابها، وتكون راوية وعائلتها شهودًا على مجزرة بشعة، ناهيك عن الجثث المتحللة على الطرقات.

تكمل: "بعد النزوح علمت أن مشروعي "راوية للمطرزات والاكسسوارات"، الذي كافحت من أجله 20 عامًا، أصبح ركامًا، لم أحمل بيدي سوى حقيبة داخلها بعض قطع الملابس، وخرجت لا أملك سوى 30 شيكلًا".

كانت راوية تجيد فن التطريز، وتمتلك متجرًا لبيع المطرزات والاكسسوارات كان هو مصدر دخل عائلتها، تقول: "مثّلت فلسطين في معارض محلية ودولية، مشغولاتي اليدوية لاقت إعجاب الناس وشجعوني أستمر، اليوم كله أصبح ذكرى".

وتنص المادة (11) من اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة على ضرورة أن تتعهد الدول الأطراف بمسئولياتها الواردة في القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان باتخاذ كافة التدابير الممكنة لضمان حماية وسلامة الأشخاص ذوي الإعاقة الذين يوجدون في أماكن تتسم بالخطورة.

عندما كانت راوية صغيرة، أصيبت بتر في أصابع يدها أثناء عملها على ماكينة لطحن الفلافل، لكنها أصرت عندما كبرت على تحدّي هذا الواقع الصعب، بعدما تخرجت من تخصص الخدمة الاجتماعية، افتتحت مشروعها الخاص بالتطريز، والذي كان شاقًا بالنسبة لها كونه يعتمد بشكل أساسي على اليدين في إنتاج المطرزات.

كانت راوية تحترف الرياضة أيضًا، وشاركت في بطولات لذوي الإعاقة، وعملت نائبة لرئيس الاتحاد العام لذوي الإعاقة، توضح: "لكن منذ بداية العدوان الإسرائيلي عانيت أوضاعًا قاسية لأتمكن من توفير لقمة العيش من خلال مشروع جديد كي أنجو أنا وزوجي من المجاعة".

تجول بنظرها وتستطرد: "أصعب إشي في الحرب النزوح المفاجئ، ما في قدامنا خيار إلا النجاة بأرواحنا، تركنا كل إشي وطلعنا".

ويخالف ما تعرّضت له راوية وعائلتها نصوص اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، خاصة المادة (49) التي تحظر النقل الجبري الفردي أو الجماعي للمدنيين.

عن مشروعها الجديد تقول: "بدأته برطل من الدقيق وآخر من الحمص بعد إغلاق المخابز، صنعت فراشيح الفلافل، وأقبل عليه الزبائن، سرعان ما تطوّر ليصبح مصدر دخل لأربع عائلات أخرى بينهن ثلاث سيدات معيلات لأسرهن".

تبتسم راوية وهي تقف أمام موقد النار برفقة زوجها رائد حسن الذي كان يتصبّب عرقًا وهو يساعدها في لف (فراشيح الفلافل)، معقبة: "الفلافل هو إرث الأجداد، مهما تغيّرت ظروفنا بناكل فلافل".

بينما يضيف زوجها رائد (53 عامًا): "نعمل أنا وراوية كأنا خلية نحل، يبدأ نهاري في الرابعة فجرًا، بطحن عجينة الفلافل بماكينة يدوية قديمة لأكثر من ساعتين، في ظل عدم وجود كهرباء، فقطاع غزة يعاني انقطاع الكهرباء منذ بدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، ثم أبدأ بتجهيز العجينة لصنع الفراشيح والسلطات".

يتابع: "يفتح مطعمنا أبوابه في السادسة صباحًا ويستمر حتى الثامنة ليلاً، ننتج عددًا كبيرًا من الفراشيح خاصة مع الإقبال الجيد علينا، رغم غياب أساسيات العمل نتيجة إغلاق المعابر، وعدم توفر غاز الطهي". يتابع بابتسامة وسط الحزن: "الحرب ما بترحم، الحصار اشتدّ وصرنا بحاجة لشئ يسدّ جوعنا، لذلك بحثنا عن بدائل لكل العراقيين مثل انقطاع غاز الطهي والكهرباء والمياه وارتفاع أسعار مكونات الفلافل كالحمص والخضراوات وزيت الطهي، واعتمدنا على الحطب في إشعال النار للقلي". يُكمل: "الخشب هو البديل عن الغاز ولكن سعره مرتفع، والغاز إن توفر أيضًا سعره مرتفع جدًا، وليس هناك إمكانية للتعبئة، هذه عقبات تصعب عملنا وتؤثر على الربح".

ومنذ بدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، ومع نفاد الوقود يعتمد سكان قطاع غزة على الحطب والورق المقوى وقطع البلاستيك في الطهي وتجهيز الخبز وتسخين المياه لتلبية متطلباتهم اليومية.

يتنهد بعمق وهو يروي كيف يجاهد من أجل إكمال حياته مع زوجته تحت وطأة أعباء النزوح، فالبقاء على قيد الحياة بالنسبة لهم انتصار، في ظل غياب أبسط الحقوق الإنسانية، فحتى مياه الشرب يحتاج إلى الوقوف في طوابير من أجل توفيرها، ومياه الاستخدام المنزلي تتوفر بصعوبة بالغة وبكميات محدودة، بل ويتم تعبئة الجالونات بثلاثة أضعاف ثمنها.

عودة إلى راوية التي تقول: "إحنا مش شعب مساعدات، إحنا بنشتغل بإيدينا وللازم العالم كله يفهم هيك، كان عندي تجربة في عمل الفلافل لما كنت أساعد عمي في مطعمه وأنا صغيرة، نفس المهنة اللي تسببت في بتر أصابعي اليوم هي مصدر دخلي".

تجس أنفاسها وتطلق زفرةً وتنهيدة: "عائلي في حالة من التششت والضياع نصفهم جنوب قطاع غزة بمدينة خانيونس "منطقة المواصي" والنصف الآخر شمال القطاع، لدي 9 أشقاء جميعهم تم تدمير منازلهم، فقدت ابنة شقيقي "ريماس عياد 14 عامًا"، بعمر الزهور، بعد قنصها من طائرة الكوادر كابتز خلال محاولتهم النزوح من بيتهم إلى مكان آخر، بنت أخويا استشهدت وهي بتحاول النزوح وما لقيت فرصة ألقى نظرة وداع عليها، وضلت غصة في قلبي".

لم يكن فقدان ريماس الحزن الوحيد لعمتها التي طالما أحببتها، فهي أيضًا لا تعلم مصير شقيقتها رائدة وأطفالها الثلاثة الذين انقطعت أخبارهم بعد استشهاد زوجها منذ عدّة أشهر أثناء محاولته توفير طعام أطفاله.

تقول: "حرقه دم وحسرة، مش قادرة أتواصل مع أختي بغزة أطمئن عليها وهي بتعيش المجاعة شمال قطاع غزة، عايشة في حالة قلق دائم دون معرفة أي أخبار هل هي وأطفالها عايشين والا صابهم مكروه".

لا تحتمل راوية الحديث عن والديها دون أن تهطل دموعها، فهما مسنان، ويمكنان داخل خيمة شديدة الحرارة نهائيًا وتغرقها المياه شتاءً، المنطقة أشبه ما تكون بصحراء تفتقد للمستشفيات والمخابر يعيشون ظروفًا قاسية.

تتابع: "رغم أن الأطفال نعمة الحياة وزينتها، لكن بسبب الحرب بحمد ربنا إني انحرمت الأطفال عشان ما أشوف طفلي بيموت قدام عيني على مدار 11 شهر، ومش قادرة أعمله إشي، الموت سلب حياة آلاف الأطفال ورأيت الرعب في عيون أبناء أشقائي

مع كل صاروخ يسقط ويجعلنا في حيرة كيف نحمي صغارنا، ومن منهم أو منّا سينجو".
وبينما تقوم راوية بتجهيز كميات من الفراش لصالح أحد مراكز الإيواء، تختتم حديثها: "أشجّع النساء على تحدّي الظروف الصعبة بكل
الإمكانيات، وتحقيق حلمهن".
وما زالت تأمل راوية أن تنتهي الحرب وتتمكن من الالتقاء مجددًا بعائلتها وإعادة تأسيس مشروعها الذي خسرتة، فرغم كل شيء ما
زالت تحلم بأن يكون لها حياة أفضل.



كتبت الصحفية
رقيف اسليم

جلس أيامًا بجوار جثة أبيه ... خالد: "أواعيا غرقت بدم بابا"

يجلس الطفل خالد الشمالي (9 أعوام) على الكرسي المقابل لأخصائية علاج النطق، محاولاً تأدية بعض تمارين التنفس التي ستساعده على التحدّث مجدّداً، بعد أن فقد قدرته على الكلام، إثر بقاء جثة والده الشهيد بجانبه لثلاثة أيام متتالية، خلال حصار العائلة بأحد مراكز النزوح شمال قطاع غزة!

الجدة: خلينا هنا بما أحسن لنا وين بدنا نروح

في تفاصيل ما حدث مع خالد، تروي والدته سمر الشمالي (32 عامًا)، إن القصة بدأت يوم 25 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، حين كانت العائلة تستعد لجمع حاجياتها والنزوح إلى جنوب قطاع غزة، قاصدة مدرسة بيت لاهيا شمال القطاع لتوديع والدته زوجها، لكن الجدة طلبت منهم البقاء شمال القطاع قائلة "خلينا هنا بما أحسن لنا وين بدنا نروح"، فأطاع الزوج محمد الشمالي (33 عامًا) والدته، وظلّ إلى جوارها.

كانت سمر وعائلتها تسكن منطقة أبراج بيت حانون شرق المدينة الواقعة شمال قطاع غزة، نسفها الاحتلال الإسرائيلي منذ الأيام الأولى لحربه على قطاع غزة، والتي أعلنها يوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، وأجبر بعدها بأسبوع يوم 13 أكتوبر/ تشرين الأول، سكّان شمال القطاع على النزوح إلى جنوبه، لكن عائلة سمر كانت ضمن من بقوا شمالاً.

بعد نسف منطقة سكنهم، اضطرت سمر (وهي أم لأربعة أطفال)، وعائلتها إلى النزوح صوب مدرسة بيت لاهيا شمال القطاع، والبقاء هناك حتى فجر 10 ديسمبر/كانون الأول 2023م، حيث حاصر الاحتلال الإسرائيلي المدرسة بالمدفعية والقناصة، لافتة إلى أن زوجها فتح باب الفصل ليجلب لهم بعض المياه، فرماه القناصة بعدة طلقات استقرت في بطنه.

والد خالد: أنا قلبي حاسس اني حروح مش حيصّب عليا صبح

هرعت سمر لتنتشل زوجها، محاولةً سحبه وإدخاله للفصل، وما إن استقر حتى قال لها "قلبي حاسس إني حروح مش حيصّب عليا صبح"، تغمض عيناها بحزن وهي تروي: "كنت أبكي بحرقة لا أعلم ماذا أفعل، وأطفالي الأربعة حولي، خالد (9 أعوام)، لينا (8 أعوام)، زينة (6 أعوام)، وليان (عامان)، كلهم يتوسلونني أن أنقذه ولا أتركه يموت".

سمر: ما خليت رقم ما اتصلت فيه، لا إسعاف، ولا صليب أحمر، ولا دفاع مدني، وفي كل مرة تطلع أسطوانة عبرية ضغطت بيدها على جبينها وهزت رأسها بقوة وهي تستذكر ما حدث بمرارة: "ما خليت رقم ما اتصلت فيه، لا إسعاف ولا صليب أحمر ولا دفاع مدني، وكل مرة تطلع اسطوانة عبرية، لم أتمكن من الوصول لأي جهة يمكنها إنقاذه، استشهد زوجي فجر اليوم الثاني، ويوم 12 ديسمبر/كانون الأول 2023م، هدا الوضع قليلا، فأصبح بإمكانهم التنقل، تبرّع رجل لدفنه في ساحة المدرسة، كي لا تبقى جثته المنتفخة أمام نظير الأطفال".

سمر: لما شفت الي صار للرجال حمدت الله انه زوجي استشهد، اشي ما بتحملة عقل

بعد نسف منطقة سكنهم، اضطرت سمر (وهي أم لأربعة أطفال)، وعائلتها إلى النزوح صوب مدرسة بيت لاهيا شمال القطاع، والبقاء هناك حتى فجر 10 ديسمبر/كانون الأول 2023م، حيث حاصر الاحتلال الإسرائيلي المدرسة بالمدفعية والقناصة، لافتة إلى أن زوجها فتح باب الفصل ليجلب لهم بعض المياه، فرماه القناصة بعدة طلقات استقرت في بطنه.

والد خالد: أنا قلبي حاسس اني حروح مش حيصّب عليا صبح
هرعت سمر لتنتشل زوجها، محاولةً سحبه وإدخاله للفصل، وما إن استقر حتى قال لها "قلبي حاسس إني حروح مش حيصّب عليا صبح"، تغمض عيناها بحزن وهي تروي: "كنت أبكي بحرقة لا أعلم ماذا أفعل، وأطفالي الأربعة حولي، خالد (9 أعوام)، لينا (8 أعوام)، زينة (6 أعوام)، وليان (عامان)، كلهم يتوسلونني أن أنقذه ولا أتركه يموت".

سمر: ما خليت رقم ما اتصلت فيه، لا إسعاف، ولا صليب أحمر، ولا دفاع مدني، وفي كل مرة تطلع أسطوانة عبرية

ضغطت بيدها على جبينها وهزت رأسها بقوة وهي تستذكر ما حدث بمرارة: "ما خليت رقم ما اتصلت فيه، لا إسعاف ولا صليب أحمر ولا دفاع مدني، وكل مرة تطلع اسطوانة عبرية، لم أتمكن من الوصول لأي جهة يمكنها إنقاذه، استشهد زوجي فجر اليوم الثاني، ويوم 12 ديسمبر/كانون الأول 2023م، هدا الوضع قليلا، فأصبح بإمكانهم التنقل، تبرّع رجل لدفنه في ساحة المدرسة، كي لا تبقى جثته المنتفخة أمام نظير الأطفال".

"وأعيا غرقت بدم بابا". قالها خالد بصعوبة وبكى، ثم اعتدل ليروي كيف كان متشبّثاً بأبيه خلال الساعات الأخيرة، وكأنه يعلم أنه اللقاء الأخير، يقول: "عندما أصيب أبي كنت بجواره، ولو أنه لم يتحرك لأصابتني إحدى الطلقات وأسكنتني إلى جواره، لكن قرر الرحيل وحده وتركني أعاني بدونه"، لافتاً إلى أنه استعاد قدرته على الكلام حديثاً، بفعل مداومته على التمرينات التي توصيه بها المختصة. يقطع البكاء المتكرر حديث خالد، ثم يعود ليكمل: "كان بابا يغفّني بحضنه، ويقرأ لي قصة، ويأخذني للمدرسة، نروح طشة سوا، يدافع عني لما أتقاتل (أتشاجر) مع حد أكبر مني".

ويكمل: "اليوم أشعر بالوحدة لأنني وحدي لا سند لي، أنظر للأطفال وهم يمكسون بأيدي آبائهم وأبكي كثيراً؛ حتى تأخذني أمي لقبره، أتحدث معه لكنه لا يجيب".

تتدخل شيرين البزم أخصائية علاج النطق التي تتابع حالة خالد، بقولها إن مئات الأطفال في قطاع غزة أصبحوا يعانون من مشاكل في النطق، كالتأتأة، والحبسة الكلامية والسرعة الزائدة في الحديث، بسبب العدوان الإسرائيلي المتواصل، لافتة إلى أن هناك حاجة ماسة؛ لتكثيف جلسات علاج النطق، في ظل غياب الأدوية، لتخليص الصغار من الصدمات النفسية والمشاهد المروّعة التي عايشوها، والتي أثّرت على مهارات اللغة والنطق لديهم.

وبحسب المادة (3) و(10) من اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، يُعامل المدنيون معاملة إنسانية، فلا يجوز الاعتداء على الحياة والسلامة البدنية، وبخاصة القتل والتشويه والمعاملة القاسية والتعذيب، أو أخذ الرهائن، بل ويجمع المرضى والجرحى بمكان خاص، ويجوز لأي جهة إنسانية غير متحيزة كالصليب الأحمر عرض خدماتها.

وتنص المادة (8) من الاتفاقية ذاتها على أنه يحق لكل دولة اختيار مناطق الاستشفاء والأمان وتبليغ الدولة المعادية بإحداثيات المكان مع تمييزها بعلامة معينة، كما وتنص المادة (11) على أنه لا يجوز أن تكون تلك المناطق هدفاً للهجوم، بل تكفل لها أطراف النزاع الحماية والاحترام للمدنيين داخلها مع السماح بوصول الأدوية والمساعدات الإنسانية لهم، وهذا خلافاً لما حدث مع السيدة سمر الشمالي وزوجها ومن حوصروا معها داخل مركز الإيواء.

خالد: بابا كان يجييلي طحين أيام المجاعة، بس ماما ما قدرت

"بابا كان يجييلي طحين أيام المجاعة بس ماما ما قدرت"، يقول خالد مشيراً إلى أن والده كان لبقاً، فحين يتحدث يصمت الجميع ليستمعوا له، وهو يتمنى أن يصبح نسخة عنه عندما يكبر، كما يتمنى أن يكون كل ما يمرّ به مجرد كابوس، يعود بعده للعيش في منزله برفقة عائلته وكتبه وألعابه.

عن روتينه اليومي في الحرب، يخبرنا خالد إنه لا يفعل شيئاً سوى زيارة قبر والده، والتجول في الحي حين يتشاجر مع الصغار، وحضور أفلام الكرتون التي تشتريها له أمه، وتقوم بتحميلها على هاتفها النقال في ظل أزمة الانترنت وعدم قدرة الأطفال على تشغيل هذه الفيديوهات عن طريق الانترنت، مع محاولته اليومية لقراءة بعض السطر أو تذكر أحرف اللغة الإنجليزية وإجراء بعض العمليات الحسابية.

فرحةً عارمة اجتاحت كيان آمال وشقيقها أدهم، صعدوا معه إلى السيارة وتوجهوا إلى خانيونس، بعدما استبعدت أن تصل إلى هناك، وفي الطريق أخبرهم أنه شاهدها بعد الحاجز وحيدة وضعها طفل صغير وذهب، انتظر خروج ذويها من الحاجز، ولكنه فقد الأمل بعد إغلاق الحاجز، أحضر لها حليب صناعي ولكنها لم تتقبله ونامت مع والدته.

مخلص العموري (22 عامًا) من مدينة خانيونس، سائق تاكسي علم من صديقه إن هناك من يبحث عن الطفلة التي وجدها قبل يوم تحمل نفس المواصفات، فتوجه مسرعًا إلى الحاجز لعله يجدهم وبالفعل كانوا هناك، عادت حلا والتي صدفةً أطلق عليها مخلص نفس الاسم دون أن يعلم اسمها الحقيقي.

أم فايق: "زي المقبرة الجماعية مع إنا أحياء"



هاي مش حرب، هاي يوم القيامة)، بهذه الكلمات الثقيلة، تختصرُ السبعينية أم فايق نصر تفاصيل حكاية نزوحها والعيش داخل خيمة قماشية، في أحد مخيمات الإيواء، على أرض مخيم النصيرات وسط قطاع غزة، بعد أن أرغمتهم الحرب على ترك منازلهم!

قبل شنّ الاحتلال الإسرائيلي الحرب على قطاع غزة، يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023م، كانت السبعينية رويدا نصر، التي لا تستطيع السير بسبب كبر سنّها، تسكن حي النصر غرب مدينة غزة، هي أمٌ لثمانية أبناء (5 ذكور-3 إناث)، بينهم ابنها سامي (40 عامًا)، مصابٌ بمتلازمة داون. كانت تعيش داخل بيت تملؤه ذكريات مع زوجها الذي توفي منذ عشرين عامًا.

تقول الحاجة أم فايق: "كنا زي هالأيام نستنى المطر عشان نقطف الزيتون هلقيت بدناش مطر، فقد أصبح المطر ضيقًا ثقيلًا، بعد أن فرض علينا الحياة داخل خيمة تُمسكها الحبال أكثر من الخشب، تسقط عند قدوم أول رياح بسيطة، وتغرق مع سقوط رشة من المطر".

تتابع وتجاعيد وجهها ترسمُ رحلة الألم والقهر: "أعيش مع عشرة أشخاص من عائلتي داخل خيمة مهترئة، مساحتها أربعة أمتار فقط، بالكاد تكفي الفراش والأدوات التي حصلنا عليها من أهل الخير، هي زي المقبرة الجماعية مع إنا أحياء".

يقطعها صوت ابنتها نهلة (41 عامًا)، خريجة تعليم أساسي، التي كرّست حياتها من أجل أمها ذات الإعاقة، وشقيقها المصاب بمتلازمة داون، تقول: "كُنّا أول يوم في الحرب نجلس في صالون البيت، حين جاء أحد إخوتي نازحًا من بيته الذي دمّره الاحتلال، بعد دقائق سمعنا صوت صراخ في كل مكان والناس يحكوا اطلعوا بدهم يقصفوا البناية، بدأ الجميع بالهرب".

تتابع والدموع تغرق عيناها: "عدتُ إلى البيت وأمسكتُ بمحفظة الأوراق الرسمية، تذكّرتُ أخي سامي الذي يرفض الخروج، متمسكًا بالكنبه، بدأت بالصراخ وطلبتُ المساعدة، جاء أحد الجيران وأخي الكبير وحمله خارجًا، ما إن وصلنا إلى حافة الطريق حتى سمعنا صوت وقوع بيتنا، ومن شدّة الخوف لم نلتفت خلفنا".

بالدموع تروي نهلة كيف هربت العائلة صوب بيت شقيقهم في منطقة الكرامة شمال غرب مدينة غزة، وسرعان ما بدأت الأحزمة النارية بالتهام كل شيء، وتشتت الجميع مرةً أخرى، تكمل: "وسط النيران لم يتوقّف سامي عن الصراخ مع كل صاروخ، ممزوجةً ببكاء ابن أخي الرضيع الذي نسيه والداه معنا".

نهلة: حاولنا كتم مشاعرنا لكن سامي ما قدر لأنه ما بيعرف شو كل هذا

يوم 10 أكتوبر/تشرين الأول 2023م، توجّهت العائلة إلى مستشفى الشفاء، ومكثت شهرًا، يفترشون الأرض ببعض الكراتين الممزقة، تتابع: "شاهدنا الدم والأشلاء وصراخ الأحباب في كل مكان، حاولنا كتم مشاعرنا لكن سامي ما قدر لأنه ما بيعرف شو كل هذا". "لا صاروخ... سامي خاف صاروخ كلب"، بهذه الكلمات قطع سامي الحوار معبرًا عن خوفه عند سماعه صوت صاروخ ونحن داخل الخيمة، خرجنا لنجد أعمدة الدخان قريبة من المكان، عدنا للخيمة مثقلين، ننتظر دورنا، وبقي سامي وحده خارجها، يردد بعض الكلمات التي بالكاد تستطيع فهمها.

بتاريخ 27 مايو/أيار 2024م، أعلنت لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة أنّ الأشخاص ذوي الإعاقة في غزة يعيشون في حالة من الكرب الشديد، ويتوقعون أن يكونوا أول أو لربما ثاني من يُقتل بسبب محدودية فرص الفرار أو المشاركة في عمليات الإخلاء نتيجة حالتهم الصحية، وعدم توفر أي سبل للنجاة.

وتنص المادة (11) من اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة على ضرورة أن تتعهد الدول الأطراف بمسئولياتها الواردة في القانون الدولي الإنساني، والقانون الدولي لحقوق الإنسان، باتخاذ كافة التدابير الممكنة لضمان حماية وسلامة الأشخاص ذوي الإعاقة الذين يوجدون في أماكن تتسم بالخطورة.

أم فايق: شعره شاب... ووجهه أسود

"شعره شاب... ووجهه أسود"، بهذه الكلمات تنظر الحاجة رويدا إلى ابنها سامي وتصفه: "يعاني سامي منذ بدء الحرب من نوبات سكر متتالية، منعه الأطباء من الخروج من المستشفى، وأصبح على عينه مياه بيضاء بسبب انخفاض السكر، وكون حياتنا كلها نزوح لم نستطيع تركه في المستشفى".

تقاطعها نهلة مرة أخرى وتضيف: "طوال اليوم لا نتوقف عن الوقوف في طوابير الماء، للغسيل بسبب تبول سامي باستمرار لعدم توافر الحفاضات له ولأمي، فهم لا يستطيعون التحرك، لاسيما أنه لا يوجد دورات مياه عامة في المخيم، نسير مسافة طويلة للوصول إلى المدرسة المجاورة لقضاء حاجتنا".

ارتفعت نبرة صوتها كأنها تريد أن تصرخ في وجه العالم، وهي تكمل: "تشرب مياهًا ملوثة، البعض منا مصاب باليرقان، نحتاج إلى دخول الحمام في أغلب الأوقات، لا نستطيع انتظار حارس المدرسة لفتح الأبواب في الصباح الباكر، فنقوم بطرق أبوابها من شدة الوجع". الجميع يحاول أن يتحدث ويروي ما حدث معه، لا يرغبون في نسيان مشهد من مشاهد القهر والألم، فقد أصبح كل شيء محفورًا بالذاكرة كأنه كابوس مزمن، لا يمكن الاستيقاظ منه.

أم فايق: أصابعي مثل قطف العنب

(أصابعي مثل قطف العنب)، هكذا تصف المسنة أم فايق ما حدث بأصابع قدمها عند نزوحها مجددًا، تكمل: "جاء السبت الأسود، في مخيم النصيرات، وهرب الجميع كأنه يوم الحشر، ذلك الكرسي المتحرك المهترئ لم يعد قادرًا على حملي، فأصبحت أدعس على قدمي كي يتحرك الكرسي دون توقف، فالقصف في كل مكان، حتى أوقعني الناس وهم يهربون إلى المجهول، وبعد ساعات من التعب وصلنا إلى دير البلح سيرًا على الأقدام، لا أقوي على تحريك أصابع قدمي".

وكانت قوات الاحتلال ارتكبت مجزرةً في مخيم النصيرات يوم 8 يونيو/حزيران 2024م، راح ضحيتها أكثر من 200 مواطن، بينهم أطفال ونساء، فيما عُرف باسم مجزرة السبت الأسود.

وينص قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (3318)، وكذلك قرار مجلس الأمن الدولي (1325) على توفير حماية خاصة للنساء والأطفال وقت النزاع.

أم فايق: رجعنا للخيمة الضيقة والحياة الأضيّق

تتابع أم فايق: "بعد ما تجمّعت مع عائلتي في مخيم النصيرات، تشنت مرة ثانية، أنا وابني في دير البلح، وبناتي في المدرسة المجاورة، ونهلة وسامي في الزاوية، كانت ساعات ثقيلة تشبه يوم الحشر، انتهت، بعدها رجعنا للخيمة الضيقة والحياة الأضيّق".

تضرب الحاجة كفاً بكفاً وهي تتحدث جازمةً إن العالم لا يهتم بنا، فحتى الدواب تدوسنا، حدث هذا حين كانت نائمة على سريرٍ صنعه أبناءها من لوح خشبي، مسنودٍ بكرسي، فاصطدمت بها دابة بجانب الخيمة وداست جسدها الضعيف وكأنها لا شيء كما تصف.

تلتقط منها نهلة الحوار وتتساءل: "هل يستطيع العالم أن يعيش ليوم واحد داخل خيمة تسودها رائحة العفن لمجرد سقوط بعض قطرات من المطر، الذباب في كل مكان لا يغادرنا، لا سيما البعوض، زائر الليل الذي يلتهم أجسادنا، كيف سيكون الشتاء؟".

تتابع: "كنا في رفح نازحون بمدرسة في حي الجنيّة شرق المدينة منذ بداية ديسمبر/كان الأول 2023م، إلى أن جاء أمر جيش الاحتلال الإسرائيلي بإخلاء رفح في 6 مايو/أيار 2024م، لقد كان الحال أهون".

تقول نهلة وهي تنظر إلى خيمتها المكتظة بالأشياء، إنها طلبت المساعدة كثيرًا، دون جدوى، وحدها تتحمل مسؤولية سامي، وأمها التي أصبحت التقرّحات تكسو جلدها بسبب الحر الشديد داخل الخيمة، والمياه الملوثة، مع عدم وجود أدوية ولا منظفات، وحتى المياه المعدنية والمستلزمات الصحية لا تستطيع توفيرها.

(بدي مراجيح... بدي كباب)، صمت الجميع وبقيت كلمات سامي تترد في زوايا الخيمة، يلعب في طعامه دون أن يأكل، تارة يضعه في كيس صغير، وتارة ينقله في طبق أمامه، والعرق يكسو ملابسه، تقول نهلة، "منذ دخوله مستشفى شهداء الأقصى في 20 أغسطس/سبتمبر 2024م، وهو يرفض تناول الطعام، فقط يطلب ما كان يأكله في بيتنا قبل الحرب".

تختم أم فايق: "لا نريد مساعدات فنحن لا نراها، نريد السلام، ونعيش بأمان نأكل ونشرب وننام، والعودة إلى بيوتنا، وحياتنا القديمة دون حروب".



كتبت الصحفية
هبة أبو عقيلين

هند تواجه أهوال الفقد والحرب لتنجو بأطفالها

"بشتغل عشان أعيش أنا وأولادي بعد استشهاد زوجي". بهذه الكلمات بدأت هند أبو وردة (36 عامًا)، رواية قصتها وهي تمسحُ وجهها الغارقُ بخليطٍ من العرق والدموع أثناء انشغالها بترتيب الأواني في خيمتها الصغيرة، بعد أن انتهت للتو من عملها الشاق في تجهيز الخبز، واصفة مصاعب حياتها وأعباءها المضاعفة.

هند المكناة بأم أحمد؛ أمٌ لستة أبناء، استشهد زوجها رامي الشندغلي (40 عامًا)، وطفلها أحمد (10 أعوام)، يوم 13 أكتوبر/تشرين الأول 2023م، نتيجة الأحزمة النارية المتتالية على منطقة جباليا النزلة شمال قطاع غزة، وبقي معها خمسة أطفال، نجلاء (16 عامًا)، نرمين (15 عامًا)، نعمة (14 عامًا)، ريماس (12 عامًا) والرضيع سند.

تستذكر أم أحمد حياتها قبل الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة التي اندلعت يوم 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023م، فقد كانت تعيش في بيتٍ دافئ عامرٍ بالحب في منطقة جباليا النزلة شمال مدينة غزة، حيث يعمل زوجها رامي في الداخل المحتل، يعود للبيت بين فترة وأخرى بحكم طبيعة عمله، تقول: "ترجيت رامي ييجي لأنه أولاده اشتاقوله وإجا قبل الحرب بأسبوع".

في أول جمعة من الحرب، يوم 13 أكتوبر/تشرين الأول الساعة الخامسة عصرًا، ذهب رامي لشراء دواء لطفله سند حيث عانى من ارتفاع درجة حرارة جسمه عن المعدل الطبيعي، تكمل: "دون أن يخبرني أخذ معه أحمد الذي كان مختبئًا خلف الباب للخروج مع والده، فجأة

سمعنا صوت أحزمة نارية وانفجارات تحيط بنا في كل مكان، حاولتُ الاتصال برامي لكنه لا يستجيب".
خلال القصف تم استهداف بناية العائلة السكنية المكوّنة من (5) طوابق، استشهد (6) من أفراد العائلة بينهم شقيق زوجها وزوجته، وخرج البقية من بين البيوت المقصوفة ناجين بأرواحهم، هند حملت رضيعها (سند) وبناتها وفرت إلى بيت أخيها، تاركة زوجها وطفلها أحمد دون أن تعرف عنهم شيئاً.

تنخرط هند بالبكاء بينما تتدخل في الحوار أم يوسف زوجة شقيقها وتكمل: "في البداية لم نخبرها باستشهادهم، كنّا بنحاول تهدئتها ونطمئنها بأنهم مصابين، ولكن هي كانت في حالة توتر وقلق غير عادية، حاولنا إخماد القلق بداخلها، لكن قلبها كان يشعر بفقدانهم، بعد ذلك أخبرها أحد الجيران بأن زوجها رامي وطفلها أحمد أشلاء في المستشفى الأندونيسي".

لم يكن الحزن على رامي وأحمد وحدهما المسيطران على هند؛ بل خوفها على طفلها سند الذي كان في الشهر الثالث من عمره يعاني ارتفاع حرارة جسمه في ظل عدم توفر الحليب والغذاء المناسب له والتطعيمات، والقصف المتكرر، ورعبها من فقدان أي شخص آخر من العائلة.

تكمل أم يوسف مستذكّرة حياتها قبل الحرب: "كنا عايشين في بيت هادئ ومستقر، زوجي يعمل بشكل يومي، فجأة تغيّرت حياتنا وتحديدًا صباح 7 أكتوبر/تشرين الأول، كنا نعتقد أن الحرب ستتوقف بعد أسبوع أو أسبوعين، لكن استمرت أكثر مما نتوقع، بعد قصف منزل أم أحمد لجأت لمنزلنا، عشنا سويا من بداية الحرب حتى 30 نوفمبر/تشرين الثاني 2023م".

ألقي الاحتلال منشورات تطالب سكّان شمال قطاع غزة بالإخلاء إلى جنوبه، وبسبب الخوف على الصغار قررت أم يوسف النزوح، تقول: "أولادي كانوا كل ما يسمعون صوت قصف يصرخوا، فقررت النزوح للجنوب، ظننا أن الجنوب أكثر أمنًا، لكن القصف في كل مكان، حتى أثناء الطريق إلى مدخل مدينة غزة للنزوح، تم قصف عدّة أماكن في الطريق".

أم أحمد: قررت النزوح مع عائلة أخي بسبب خوفي على من تبقى من أولادي

نزلت أم أحمد مع شقيقها وزوجته وأطفالهم إلى الجنوب يوم 30 نوفمبر/تشرين الثاني 2023م، بحثًا عن الأمان لأبنائهم بعد اشتداد القصف على منطقة جباليا النزلة، مضيعة: "خرجنا تحت نيران آليات الاحتلال الإسرائيلي، في منطقة نتساريم جنوب غزة الوضع كان خطير جدًّا، حيث جثث الشهداء ملقاة على الأرض، وصراخ المصابين، والمشي المتعب، وبين يدي سند الذي يصرخ طوال الطريق".

تكمل: "قررت النزوح مع عائلة أخي بسبب خوفي على من تبقى من أولادي، نزلنا إلى كلية فلسطين التقنية، بمدينة دير البلح مع ثماني عائلات في نفس الغرفة.

"أصابتنا حالة من الرعب، لمدة ثلاث أيام وأنا بسمع صوت قصف ونصرخ أنا وبناتي وهو فش قصف، لم نكن نعرف معنى كلمة نزوح، فلم نأخذ معنا شيء من أغراضنا، بقينا أربعة أيام دون طعام، كنا في مكان معدوم الخصوصية فلا راحة ولا نوم، بعدها قررنا الانتقال إلى مكان آخر لإنشاء خيمة ودورة مياه خاصة بنا".

عودة إلى أم يوسف: "لم نأخذ معنا إلا قطعتين من الملابس لكل فرد، لم نملك أواني للطبخ، في كلية فلسطين التقنية لا مكان للراحة ولا النوم ولا حتى فراش، أربعة أيام دون طعام، لم نكن بحالة جيدة، قررنا الانتقال إلى أرض فارغة، استطعنا إنشاء خيمة من الأقمشة، كان شتاء الخيمة قاسي جدًا ومياه الشتاء أغرقتنا".

تعتدل في جلستها وهي تكمل: "الآن في فصل الصيف حرارة عالية وحشرات غريبة ولا يوجد مصدر دخل لتلبية احتياجاتنا، الحياة صعبة ويحاول زوجي أن يجمع الحطب طول اليوم لنعد الخبز على فرن الطينة، كما نقطع مسافات للحصول على المياه"، وتتمنى أم يوسف انتهاء الحرب لتشعر بالأمان وتعدّ الطعام الجيد لأبنائها.

أم أحمد: أختي أم صالح استشهدت في الشمال بسبب الجوع

تعيش أم أحمد في خيمة شديدة الحرارة بجوار خيمة شقيقها، تقول: "أكثر من 12 فردًا أخي أبو يوسف يتحمل عبئهم، لكن الحال ضاق عليه وأصبح غير قادر على إعالة أسرتين، نفدت مدخراتنا البسيطة من أول أشهر الحرب، الحال أشبه بالمجاعة".

تتابع: "لم يعد لدينا شيء نأكله، ريماس كانت تثن جوعًا في أحد الليالي ونامت جائعة، وفي الليل حلمت بزوجي يلومني وبوصيني على إطعام البنات، عائلة زوجي كلها بقيت في الشمال، ثلاثة إخوة لي يعانون من الجوع هناك، استشهدت أختي الكبيرة أم صالح يوم 10 أغسطس/آب 2024م، بسبب الجوع وسوء التغذية وعدم توفر الأدوية في مدينة غزة، ولم تستطع السفر للعلاج، فقد كانت تعاني من السرطان والسكري، والحصار تسبب بإصابتها بفقر الدم".

في أرض قاحلة بمخيم أرض شاهين بمدينة دير البلح وسط قطاع غزة، تجلس أم أحمد أمام فرن من الطين، يقوم شقيقها بتقطيع الخشب وهي تجهز الخبز وتطهو الطعام للزبائن، ما تسبب لها بأمراض في الجهاز التنفسي والعيون.

تضيف أم أحمد التي بدت آثار الحروق واضحة على يديها: "أنغاضى عن آلامي وحزني وأوجاعي في سبيل إطعام أبنائي وتلبية احتياجات بناتي الصبايا لديهم احتياجات خاصة، منها معدومة ومنها غالية جدًا بسبب شح مواد النظافة في الأسواق، فوق كل هذا التعب لا يوجد مياه صالحة للشرب ولا غاز للطهي، بنستخدم الحطب فقط".

كانت أم أحمد تعمل على إعداد بعض قطع الحلوى والمعجنات وإعطائها لطفليتها نعمة وريماس لبيعها في المخيم، لكن هذا العمل لا يكفي لسد احتياجات الأسرة، خاصة وأن طفلها بحاجة للعلاج الدائم بسبب مشكلة في الجهاز التنفسي، وهو بحاجة لعلاج دائم تكلفته 200 شيكل شهريًا (نحو 70 دولارًا).

وخلفت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة حتى منتصف أكتوبر 2024م نحو 42 ألف شهيدة وشهيدًا، معظمهم أطفال ونساء، ونحو 10 آلاف مفقود تحت الأنقاض، ويتنافى استهداف المدنيين مع اتفاقية جنيف الرابعة التي ضمنت الحماية للمدنيين وقت الحرب، وتنص المادة (33) منها على حظر الاقتصار من الأشخاص المحميين، كما نص قرار مجلس الأمن (1325) في المادة (10) على دعوة أطراف النزاع لاتخاذ تدابير خاصة لحماية النساء والفتيات.

يتنافى استهداف المدنيين بالقصف مع بنود اتفاقية جنيف الرابعة، بشأن حماية المدنيين وقت الحرب التي تنص في المادة رقم (٣٣) على حظر الاقتصاص من الاشخاص المحميين وممتلكاتهم.

تكمل أم أحمد: "مياه الصرف الصحي أغرقت خيامنا لمدة ثلاث أيام ماتسبب في إعاقة تحركنا، البعوض والفئران تعيش بيننا، نعاني انعدام النظافة والحشرات تنتشر في المخيم ومع ذلك أدوات النظافة التي تساعدنا على التخلص من الحشرات غير موجودة في الأسواق، طفلي سند أصابه فيروس لكنه شفي منه".

تضيف: "نجلاء لديها فوبيا الحشرات، حين ترى (البرص) يصيبها تشنّج وإغماء، وتصبح بحاجة لإسعاف أولي كي تتنفس"، زادت معاناة العائلة بسبب الازدحام الشديد في المخيم والنقص الحاد في المياه ونفاذ مستلزمات النظافة الشخصية.

تقول أم أحمد بينما تنهمر دموعها: "أبحثُ عن عملٍ آخر لا يدمّر صحتي، غير هذا العمل الشاقّ الذي سيصيبني بالعمى ومشاكل بالتنفس، أبنائي بحاجة سند الذي يحتاج رعاية صحية".

الفشل الكلوي تحت الإبادة... يوسف: "نفسي أتعالج"



قبل الحرب بأسبوعٍ واحدٍ لا يُمحي من ذاكرة الطفل يوسف أبو بكر (9 سنوات) ووالديه، حيث حُلّت بالطفل وعكة صحية شُخص بناءً عليها بإصابته بفشل كلوي في الكليتين معًا، ورفيقهما ضغط الدم!

تسيرُ والدّة يوسف (هدى أبو بكر 34 عامًا) مشيًا على الأقدام نحو 2 كيلو متر وهي تحمل يوسف حين تعجز عن إيجاد مواصلات تنقلها من مكان سكنها الحالي وسط مدينة غزة، إلى مستشفى الشفاء غرب المدينة، من أجل جلسات غسيل الكلى التي تقلّصت بسبب الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في ظل شحّ الإمكانيات وطوابير الانتظار داخل المستشفى.

تقول أم يوسف بصوتٍ متعب: "انهدّ حيلنا، بدناش أكل ولا شرب بس تخلص الحرب وفرصة سفر لزراعة الكلى ليوسف، شبه يومي أفيّق يوسف من نومه في الخامسة صباحًا، أجهّزه وأخرج به في السادسة مشيًا على الأقدام حتى منطقة الساحة أنتظر طوابير السيارات واستغلال السائقين لحالتنا وأضطر للقبول بأي سعرٍ لنقلنا إلى المستشفى".

من داخل منزل جدّه في حي التفاح وسط مدينة غزة، يستجمع الطفل يوسف قواه وهو يحكي: "كل اللي بدني إياه تخلص الحرب وأقدر أسافر وأعمل زراعة كلى وأعيش طبيعي".

يسند يوسف ظهره بصعوبة وهو يروي أنه يعاني بشدة نتيجة إصابته بالفشل الكلوي، ويشعر بالتعب والإعياء والهزال أثناء جلسات الغسيل، مضيفاً: "كانت حياتي عادية كل اهتمامي بالمدرسة، لكن الحرب والمرض أتعبوني"، قالها وعاد إلى النوم بينما أكمل والده القصة: "اكتشفنا مرض يوسف يوم 9/29 قبل الحرب بأسبوع، عندما تعب بشكل مفاجئ، واصطحبته أمه إلى عيادة الوكالة القريبة، وتم تشخيصه بفقر الدم، وأتيحت لنا فرصة إجراء تحاليل طبية بمستشفى الشفاء وتم تشخيصه بارتفاع وظائف الكلى".

تم تحويل يوسف إلى مستشفى الدرة في دير البلح يوم 1 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، ومن ثم عاد إلى مستشفى الرنتيسي للأطفال بمدينة غزة، مكث فيها أسبوعاً ونظراً لإصابته بالضغط العالي لم يتعاملوا مع حالته وخرج من المستشفى، تدهور الوضع الصحي ليوسف، لكنه استجاب لاحقاً لبعض العلاجات واستمر وضعه مستقرًا حتى مايو/أيار 2024م.

تمتلئ عينا أم يوسف بالدموع وهي تنظر لطفلها النائم وتقول: "أصعب لحظة لما عرفت بإصابته بفشل الكليتين، مجرد ما أشوفه بمشهد غسيل الكلى ما بسيطر على مشاعري، حاليًا ركبوا لابني يوسف برايش غسيل الكلى عن طريق القلب، شعور صعب لما بقعد قدامه ما بتحكّم في دموعي".

يوم 2024/5/24، اصطحبت والدّة يوسف طفلها إلى مستشفى المعمداني إثر إصابته بالتشنج، وتم تحويله إلى مستشفى كمال عدوان بعدما ساءت حالته وانقطعت أنفاسه، وتم السيطرة على حالته بعد إجراء صدمات كهربائية.

ومنذ اندلاع الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة يوم 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، وإجبار الاحتلال سگان شمال القطاع على النزوح على جنوبه، تضاعفت معاناة مرضى الفشل الكلوي المقدّر عددهم نحو (1100) مريض، خاصة من بقوا في الشمال، وتقلّصت فرص الغسيل المخصصة لهم مع غياب العلاج وقلة الإمكانيات، وانعدام فرص علاجهم خارج قطاع غزة مع إغلاق المعابر.

وتزداد معاناة مرضى الفشل الكلوي، بسبب تقليص عدد الجلسات المخصصة لهم ومدّتها أيضًا، والخشية من تعرّضهم للعدوى في ظل صعوبة التعقيم نتيجة نقص الإمكانيات الطبية.

تردف: "يوسف بيدعي بكل وقت إن ربنا يشفيه ويرتاح من مشاوير غسيل الكلى وتعبها، يبصيه دوخة ونعس طول ساعات الغسيل"، فالسيدة وهي أمّ لأربعة أبناء لا يشغل تفكيرها أيّ منهم مثلما يشغلها يوسف.

تكمل: "نزلت من بيتي يوم 31 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، وانقصف يوم 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 2023م، فقدت شقتي شقى عمري في برج الاتصالات بمنطقة تل الهوا وما زعلت عليها زي زعلي على يوسف، المال معوّض بس صحة ابني مين يرجعها".

وبعد 10 شهور من الحرب، أرهقت الأوضاع الصعبة والغلاء الفاحش كاهل ذوي المرضى ومنهم عوني والد يوسف الذي يقول: "كل واحد فينا عاش تجارب نزوح متكررة سواء بالتنقل من منطقة لمنطقة لمجرد إيجاد فرصة الأمان والسلامة، قصف الاحتلال منزلي وحاليًا أعيش في بيت أهلي في حي التفاح وأنا مسؤول وحدي عن 16 فردًا بينهم أختي المريضة".

ضمن أكبر مسببات تفاقم الوضع الصحي لمرضى الفشل الكلوي هو النظام الغذائي السيء وتناول البقوليات التي تؤدي إلى ارتفاع وظائف الكلى وتراكم السموم، يقول والد يوسف: "بشترى أدوية الكلى لابني يوسف بأضعاف سعرها، غير انقطاع الأغذية المناسبة لصحته واضطراري لاستبدالها بعلب التونة لسد نقص غياب أكله المحدد، والجميع يعلم الأسعار الخيالية في شمال غزة".

وكما غيره من عمال المياومة، فقد والد يوسف مصدر دخله بعدما كان يعمل في متجرٍ لبيع الملابس والذي تعرّض للحرق في الحرب، يقول: "الآن أحاول قدر المستطاع توفير دخل يومي، يوسف بحاجة لمواصلات يومية تبلغ 70 شيكلًا ناهيك عن أدوية وغذاء وغيرها". لم يعد بمقدور عائلة يوسف دفع ثمن الغذاء المناسب له خاصة أن أسعاره تضاعفت إن وجدت، تقول والدته: "لا معيل للأسرة سوى زوجي ومصروفنا حاليًا تضاعف مقارنة بما كان عليه قبل 7 أكتوبر/ تشرين الأول 2023م، حتى المنزل الذي نتواجد فيه تعرّض لأضرار جزئية وفقدان شبائكه وأبوابه بسبب القصف".

تشير والدّة يوسف إلى طفلة بين يديها وهي تكمل: "لدي ثلاثة أطفال أكبر من يوسف وهو رابعهم، كلهم يعانون نفسيًا بسبب الحرب، أصعب لحظة لما تركت طفلي تالا اللي عمرها أربع سنوات مع بنتي اللي عمرها 14 سنة وطلعت مع يوسف في عزّ الحرب، الخوف كان مسيطر عليّ كل الوقت، الحرب ما بترحم واحتمال قصف أي مكان وارد دون سابق إنذار".

لدى والد يوسف شقيقة مصابة بمرض الصرع وتخشى العائلة حدوث اجتياح مفاجئ يجعل الخروج بها من المكان صعبًا، لكن العائلة تحاول قدر الإمكان التعاون من أجل تأمين الاحتياجات الأساسية والوقوف في طوابير جلب المياه والخبز وغيرها.

لم تضطر عائلة يوسف للنزوح من منزلهم الحالي بشكل كامل، لكن الأمر لا يخلو من خروج لساعات خلال القصف ثم العودة، لكن والدته تصف وضعها: "عايشين في خوف ورعب بسبب القصف المتواصل، والاختباء من الطائرات، نحاول التعاون والتخفيف عن بعضنا خاصة حين أخرج بيوسف فترة الغسيل".

ويشرح والد يوسف: "جسمه تنفّخ بسبب السموم والسوائل، تأجّلت جلسات غسيل الكلى وصار عنده انسداد في شرايين الكسترة المركّبة بالقلب، وعن طريقها بيغسل كلى، ابني لازم عملية عاجلة وبسبب ضعف الإمكانيات تأجّلت لبعد الحرب".

وتنص اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، على حماية خاصة للمرضى والأطفال، كما أكدت في المادة (89) من الاتفاقية ضرورة صرف أغذية للحوامل والأطفال دون سن 15 عامًا تتناسب مع احتياجاتهم، وهو ما لم يراعى في حالة يوسف.

كما تنص المادة (24) من اتفاقية حقوق الطفل على حق الطفل في التمتع بأعلى مستوى صحة يمكن بلوغه، وإن تبذل الدول جهودًا لضمان ذلك.

أكثر ما يقلق والدّة يوسف ووالده هو استمرار الحرب وانعدام فرص العلاج خاصة شمال قطاع غزة، فقد بات يوسف يعاني الألم مضاعفًا بسبب تواصل جلسات غسيل الكلى التي أنهكت جسده، كما يعاني من قلة التغذية، وما زال يوسف نفسه يتمنى: "نفسي تنتهي الحرب وأتعالج وأبطل غسيل كلى".



كتبت الصحفية
هديل الغرباوي

ولاء: (من لما استشهد زوجي وأنا عايشة على المعونات)

بعد أن أدار زوجها ظهره وغادر البيت سعيًا للحصول على سلّة غذائية، انقبض صدرها، فوقفت على الباب بانتظار زوجها الذي اندسّ بين الزحام واختفى عن الأنظار، وبعد فترة قصيرة علمت من الجيران أنه أصيب أثناء استلامه السلّة الغذائية، فركضت صوب المدرسة التي أصيب فيها!

حدث هذا يوم 4 ديسمبر/كانون الأول 2022م، في منطقة السكّة شمال مخيم جباليا شمال قطاع غزة، كان جسدها ينتفض بقوة على وقع الأحزمة النارية التي تضرب بيوت المدنيين الآمنين، ويتعالى الصراخ والناس تركض في الأزقة بحثًا عن مكان آمن يقيها ضربات الفانتوم والكواد كابتّر، التي لم تهدأ منذ اليوم الأول للحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023م. في أحد الأزقة الضيقة وجدت عربة كارو يجرها حمار تقلّ جثة شهيدٍ مخضبة بالدماء، مغطّاة بشادر بلاستيكي، ثمّة شعورٍ مبهم دفعها لرفع الغطاء عن وجه الشهيد لتجده زوجها جاهد بعلوشة الذي ارتقى أثناء محاولته الحصول على سلّة غذائية لعائلته.

كانت تلك لحظات فاصلة في حياة الشابة ولاء بعلوشة (34 عامًا)، وهي أم لثلاثة أطفال أكبرهم كريم (14 عامًا) ثم غزل (12 عامًا) وأصغرهم غنى (7 سنوات)، تقطن حاليًا خيمة صغيرة من الخشب والبلاستيك، في مخيم المصدّر بمنطقة الزوايدة وسط قطاع غزة، بعدما نزحت إلى هناك يوم (21) مارس/اذار 2024، في اليوم الثاني لشهر رمضان.

من داخل خيمتها، وهي تتوسط أبناءها الثلاثة تروي ولأهـ حكايتها: "كنا قبل الحرب عايشين حياة عادية، دام زواجي 18 عامًا، كنا نتقاسم منزل العائلة مع أهل زوجي وشقيقه، ظروفنا الاقتصادية صعبة، بيتي عبارة عن غرفة صغيرة كنا نطمح للخروج والانتقال إلى شقة صغيرة، نعيش فيها بمفردنا، لكن الحلم البسيط تحقق بعد وفاة والد زوجي ووالدته".

قرر الأشقاء بيع بيت العائلة وتوزيع الميراث، كان نصيب زوج ولأهـ 13 ألف دولار، اشترى شقة صغيرة قبل حرب 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023م بعامين فقط، كان زوج ولأهـ أحد مصابي مسيرات العودة، لم يكن بمقدوره العمل فأصابته كانت في عصب اليد، وكان ينفق على عائلته من مبلغ 700 شيكل يتحصّل عليها مساعدة نقدية كجريح.

تقول ولأهـ: "عندما استشهد زوجي أصبحنا بلا معيل ولا سند يدبّر شؤون حياتنا، فقدت التواصل مع عائلة زوجي لبُعد المسافات والظروف القاهرة التي يعانها الجميع في قطاع غزة بسبب النزوح المستمر، فكل شخص منا "فيه اللي مكفيّه" عائلة زوجي نزحت منذ بداية الحرب إلى مركز إيواء في دير البلح، وأهلي نزحوا إلى محافظة أخرى، وبقي أبي في غزة".

تستكمل حديثها: "تخلوا معاناة شابة في مستقبل العمر وحيدة دون سند في مجتمع ذكوري، الأمر صعب في الأيام الطبيعية فما بالك الآن، صحيح أن الكل يعاني، لكن معاناتي أكبر لدرجة أصبحت أتمنى الموت في كل لحظة".

تمسح دموعها وتواصل: "من لما استشهد زوجي وأنا عايشة على المعونات ومن أيدى فاعلين الخير، غير التنقل المستمر من مدرسة لمدرسة واحنا تحت الخطر".

بعد استشهاد زوجها، شعرت ولأهـ أن طفلها كريم (14 عامًا) كبر فجأة، وأنه أصبح لديه من النضج ما يكفي لتحمل المسؤولية بعد فقدان والده، كان يتلمّس الطريق ولا يعرف أين البداية، حتى يمدّ لحاف الستر لعائلته.

تكمل: "بعد استشهاد زوجي ابني كريم صار سند العيلة، لما المجاعة ضربت شمال قطاع غزة وصراخ طفلي غنى ما بوقف بسبب الجوع، ابني كريم قرر يخوض تجربته الأولى لتوفير كيس طحين، كان ابني كريم يطلع من الصبح على دوار النابلسي يلاحق طيارات المساعدات على أمل يحصل على وجبة أو كيس طحين، وفي كل مرة يرجع دون نتيجة".

قبل شهر رمضان بيومين، استيقظ كريم وأخبر والدته نيته الذهاب إلى دوار الكويتي للحصول على كيس طحين من شاحنات المساعدات، أدار ظهره وأطبق الباب وخرج، وظلّت أمه ترقب عودته طيلة اليوم والخوف ينهش قلبها، حتى جاءها اتصال من شقيق زوجها النازح إلى دير البلح يخبرها إن سلطات الاحتلال احتجزت كريم وأجبروه على النزوح إلى الجنوب وحده.

لم تحتمل ولأهـ (أم كريم) البعد عن طفلها، خاصة وأنها أصبحت تعتمد بشكل كامل على هذا الطفل الذي تم إبعاده قسرًا إلى الجنوب، فهو كان ينوب عنها في كل شيء، من تعبئة المياه وإشعال الحطب وجلب الطعام من التكيات، والوقوف في طوابير استلام الطرود الغذائية، فنزحت إلى الجنوب خلفه، ومّرت كما غيرها على جثث الضحايا الموزعة على طريق النزوح.

ويخالف ما تعرّضت له عائلة ولاء بنود اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، والتي ترفض التهجير القسري لهم، كما نص قرار مجلس الأمن (1325) في المادة (10) على دعوة أطراف النزاع لاتخاذ تدابير خاصة لحماية النساء والفتيات. أشعة الشمس الحارقة، أكسبت وجه الصغير كريم بطبقة برونزية، وبدا غارق في قيعان أفكاره، كان كلامه مقتضبًا، لكنه أكبر من سنّه الصغير لكبر المسؤوليات الملقة على عاتقه.

كريم: بعد ما نصبت الخيمة لأمي وإخوتي، ناشدت عشان ألاقى شغل يوفر مصروفنا

أخفى كريم دموعه وهو يقول: "بعد ما نصبت الخيمة لأمي وإخوتي، ناشدت عشان ألاقى شغل يوفر مصروفنا، توجّهت إلى إدارة المخيم ومخاتير المنطقة ولجان المساعدات والمؤسسات الخيرية، لكن لا أحد يقدّم لنا شيئًا، كلهم يطلبون الأسماء وأرقام الهويات دون فائدة".

يكمل: "لقيت شب داخل المخيم بيحفر دورات مياه وبيبني خيام عطف عليا وأخذني معه مقابل خمسين شيكل أسبوعيًا، بالأول لقيت إن المبلغ منيح وفرحت، لكن مع مرور الوقت وغلاء الأسعار لقيت إنه ما بيكفي مصروف يوم واحد". قطع حديث كريم بكاء غنى المتواصل، تريد الحصول على شيكل لشراء البسكويت مع رفيقاتها، بينما تحاول والدتها إسكاتها دون فائدة.

"في غزة، قبل نزوحنا إلى هنا كنت أعمل في بيع كرات الشوكولاتة، وكاسات الأيس كريم، أخرج من البيت الساعة 8 صباحًا وأعود في المساء بمبلغ أربعة شواكل فقط، الفقر والوحدة خلوني أرتمي في حضن العمل وأنا في هذا العمر عشان لقمة العيش". كان كريم يحلم بأن يكون مهندسًا عندما يكبر، وليس حفارًا لدورات المياه، هنا يجهش بالبكاء ويكمل: "أصبحت أنزل إلى السوق مؤخرًا وأقوم ببيع كاسات المثلجات، وعندما يحدث قصف أترك ما بيدي وأركض إلى خيمة أُمّي لأطمئن عليها، فأنا المسؤول الأول عن الأسرة، أعرف أن المبلغ الذي آخذه من حفر المراحض قليل، لا يكفي يوم أو يومين، ولكننا نعيش على طعام التكيات بشكل يومي، وأقف بانتظار دوري حتى حفظني معدّ الطعام وأصبح يزيد لي الكمية، أما العلاج فإننا نذهب إلى النقاط الطبية التابعة للمخيم وباقي الأيام رزقنا على الله، كفالات الأيتام تخرج لنا كل فترة 200 شيكل أو طرد غذائي". مع مغيب الشمس، انخفضت ضجة المخيم تدريجيًا، فيما كانت فوانيس الإنارة التي يطلقها الاحتلال ترتفع، بينما اندسّ كريم بين الخيام في محاولة منه لإهدار الوقت القاسي، بعدما نجح في تأمين عشاء هذا اليوم.

حنين تبكي عائلتها... "لقد رحلوا جميعًا"



"مين بقى لي، لو وقعت مين يسندني، لو متّ مين يدفني ويقراً الفاتحة عليّ". كانت هذه الكلمات مشهدًا في مسرحية سياسية ارتجالية قدّمته الفنانة حنين الخصري (23 عامًا)، ضمن مسرحية شاركت فيها بدور أم فقدت أبناءها وظلّت وحيدة، وذلك قبل اندلاع الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، دون أن تتوقعه أنها ستعيش مشهدًا مشابهًا في الحرب!

تُقارن حنين الناجية الوحيدة من مجزرة ارتكبتها الاحتلال الإسرائيلي بحق عائلتها في مدينة غزة، وكل شيء تحدّثته في المسرحية قبل الحرب بأيام، بقولها: "في الحالتين بقيت وحيدة بلا عائلة ولا أمل".

غيوبةٌ يتبعها غياب، هكذا تلخّص حنين الناجية الوحيدة والشاهدة على موت (18) فردًا من عائلتها، تتجرّع آلام الفقد والنزوح والإصابة بورم في الرأس نتيجة الإصابة وغياب الرعاية الصحية.

بصعوبةٍ تعدّل حنين وضع رأسها على الوسادة في غرفة بيت أحد أقاربها بمدينة النصيرات وسط قطاع غزة، وتروي بكلمات متقطّعة ما حدث معها: "يوم 18 أكتوبر 2023، قصفت طائرات الاحتلال الإسرائيلي منزلًا مجاورًا لبيتنا، وأصبنا جميعًا، وبيتنا تدمّر بشكل كامل، فانتقلنا لبيت عائلة جدّي لأمي".

شمال القطاع على النزوح إلى الجنوب، في مخالفة لاتفاقية جنيف الرابعة التي تحظر التهجير القسري للمدنيين، كما تحظر الاعتداء عليهم وعلى ممتلكاتهم، لكن حنين وعائلتها كانوا ضمن من أصرّوا على البقاء في بيوتهم.

تكمل: "خرجت مستشفيات شمال القطاع عن الخدمة، فانتقلت زوجة أخي وأختها إلى الجنوب للعلاج، وبقي أطفالهن معنا، وعجز البقية عن المغادرة بسبب الإصابة".

ويخالف ما تعرّضت له العائلة مع اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، خاصة المادة (17) التي تدعو أطراف النزاع إلى إقرار ترتيبات محلية لنقل الجرحى والمرضى والعجزة والمسنين والأطفال وأفراد الخدمات الطبية إلى مناطق توافر الخدمات الصحية.

يوم (3) ديسمبر 2023، تعرّض المنزل الذي نزحوا إليه للقصف الإسرائيلي، موقعًا مجزرةً راح ضحيتها (18) فردًا بينهم والديها وإخوتها الأربعة واثنين من زوجاتهم وأحفادهم وأختها، أما هي فدخلت في غيبوبة لكنها لم تمكث في المستشفى سوى ربع ساعة لتقطيب جروحها، دون الكشف عن الشظايا والحروق في جسدها، وانتقلت إلى بيت خالتها التي أجبرت على النزوح أيضًا. تحبس أنفاسها وتطلق زفرةً وتنهيدة وتكمل: "أخبروني أن أختي التي كانت تنام بجواري على السرير سقطت على الأرض وأن إصابتها قاتلة، وأنا وقعت بين أغصان شجرة زيتون".

علمت حنين باستشهاد عائلتها بعد (35) يومًا من رحيلهم، بسبب صعوبة وضعها الصحي، وعدم وعيها بشكل كامل لما يدور حولها سوى هلوسات وسؤال دائم عن العائلة.

تكمل: "رأيت ابني خالتي يوسف وسألته عن أهلي، كان يبكي، أدركت ما حدث، غبت عن الوعي مجددًا، وغاب يوسف". كان صيدليّ تحت التدريب يتابع حالة حنين، ويُخرج الشظايا والعيّدان من جسدها، أخرج زجاجًا من أذنيها، وهذا ساعدها بشكل كبير على التعافي كما تروي، ولكن ظلّت بحاجة لرعاية طبية خاصة، وكان عليها النزوح إلى جنوب قطاع غزة.

تعدّل رأسها مجددًا على الوسادة وتكمل: "حين عرفت بضرورة النزوح خفت من مشاهدة جيش الاحتلال، كيف سأمشي أمامهم، في حياتي لم أشاهد دبابة، سمعت روايات عن أشخاص تم اعتقالهم".

السادسة صباحًا، توجّهت حنين إلى غرب مدينة غزة، لتسلك طريق البحر باتجاه الجنوب، وصلت الحاجز، طلب منها الجنود إبراز هويتها ثم أمروها بالتوجّه إلى اليسار، تكمل: "سرت بجسدي الهزيل بلا ماء وحيدةً أجتاز الطريق، دمارًا في كل مكان، واجهت هبّات أمواج البحر التي تحمل رائحة الجثث المنتشرة على جانبي الطريق، ذكّرني بمشهد من بقي من أهلي تحت الأنقاض".

نزحت حنين إلى أعمامها في مدينة رفح جنوب قطاع غزة، فهم لم يستطيعوا توديع شقيقهم (والدها)، لتمضي وهي مصابة مرهقة نتيجة الحروق والشظايا في يديها وظهرها، تعاني الإعياء بسبب ثقل الحقيبة على كتفها المصابة، أما الحياة داخل الخيمة فكانت قاسية خاصة أنها بحاجة لرعاية طبية وراحة لا يمكن توفيرها في الخيمة، رغم كل المحاولات التي بذلها أعمامها.

وأصبحت كما آلاف غيرها من مرضى قطاع غزة، محرومة من حقّها في العلاج بالخارج بسبب إغلاق معبر رفح منذ بدء العملية العسكرية في رفح أوائل مايو 2024.

لا تحتل حنين رؤية الأطفال حولها، وأبناء أخيها ليسوا بينهم، لقد كانوا ثمانية أحفاد، لكل شخص مكانة خاصة في قلبها، وكلما رأتهم أوجعها الشوق لمن تحت التراب، فوجدت ضالتها في مشاركة أعمال تطوعية كرسم الجداريات وتوزيع المواد الغذائية، فهي ناشطة عملت قبل الحرب ضمن فريق تحريك وصناعة الدمى (الماريونيت)، الذي ينفذ سلسلة من العروض المسرحية للأطفال مع مركز التنمية والإعلام المجتمعي.

مع اجتياح الاحتلال لمدينة رفح، انتقلت حنين إلى منزل أقاربها في النصيرات، وفي الوقت الذي ترغب فيه البحث عما يريح قلبها، لا تمتلك الإمكانيات التي تساعد على ذلك، لتضع يدها على قلبها وتقول: "هنا الكثير من الوجد والحسرة، الفكرة ذاتها جدًّا موجهة، لقد رحلوا جميعًا".



كتبت الصحفية
وردة الدريملي

هبة وحلم حزن أخير ووداع لم يكتمل

"كُنّا خمسةً وأصبحنا ثلاثة، اثنان من أولادي استشهدوا"، بهذه الكلمات تحدثت الفلسطينية هبة النديم (28 عامًا) عن أسرتها بعد فقدانها اثنين من أبنائها، إثرَ قصفٍ تعرّض له البيت الذي نزلت إليه. تكتم دموعها وهي تسرد تفاصيل فقدان صغيرها أحمد (5 سنوات) وكريم (عامًا ونصف)، وإصابتها هي وزوجها مع طفلها الناجي من القصف عمر (8 سنوات)، لتبقى هذه اللحظات هي الأشدّ وجعًا على قلبها. تسردُ هبة التي كانت تسكن في الزيتون جنوب شرق مدينة غزة الحكاية: "نحو الساعة الثالثة والنصف عصرًا، كنا نتنازل طعام الغداء، فسمعنا أصوات أحزمة نارية وانفجارات تهزُّ المنطقة تعلو أكثر فأكثر، حتى قُصف منزلنا، ولم أสติقظ بعدها". تتابع: "حاول أحدهم إنقاذي وانتشالي من تحت الأنقاض، لم أكن واعيةً بالكامل، سقف المنزل كان فوق جسدي، وكلما حاولوا إخراجي ضغطَ السقفُ عليّ أكثر، كل ما تذكرته حينها هو صوت الحزام الناري، بدأت بالمناداة على أولادي، كريم وبنك؟ أحمد كان في حضني، وعمر رأيتُه من بعيد، تذكرت أن كريم قال لي قبل الضربة مع السلامة يا ماما، وبعدها لم أتذكر شيئًا". ويتناقض استهداف المدنيين بالقصف مع بنود اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين وقت الحرب، التي تنص في المادة رقم (33) على حظر الاقتصاص من الأشخاص المحميين وممتلكاتهم.

بينما ضغط السقف على جسدها؛ حاولت هبة البحث عن أبنائها، رأت أقدام أحمد فوق قدمها، حاولت احتضانه الحزن الأخير، لكن كان مستشهدًا، كريم فوق قدمها الثانية، لم تشعر به بدايةً ولم يره المنقذون، وفي النهاية رآته في أقصى مشهد، لقد كان يلفظ أنفاسه الأخيرة، أما عمر فقد كان مصابًا.

تمسح دموعها وهي تواصل سرد تفاصيل الحكاية: "كانت إصابة عمر في الرأس، دمه كالشلال من شدة النزيف ورأسه مفتوحًا بصورة صعبة، ظننت أنه لن يعيش، أما إصابتي فكانت في الرأس وكسر في يدي وحروق في نصف جسدي، وسيخ من الحديد في منتصف قدمي، وكانت إصابة زوجي في القدم".

تجربةً مرعبةً عاشتها هبة وعائلتها، إصابة طفلها عمر كانت سيئة خاصة حين تمّ علاجه في مستشفى المعمداني دون توفر الأدوات اللازمة، لا غرز طبية ولا بنج، فكان البديل "استخدام الدبابيس"!

وكان مستشفى المعمداني نفسه، تعرّض لقصف إسرائيلي أدى لاستشهاد نحو 400 من النازحين، في تناقض مع بنود اتفاقية جنيف الرابعة التي تحظر في المادة رقم (18) الهجوم على المستشفيات.

تقطب هبة حاجبيها وتضغط شففتها بينما توضح بمرارة: "تم تدبيس رأس عمر باثني عشر دبوسًا من دبابيس الدفاتر، استمر النزيف ليومين، لم يتحمل ابني الوجع وكان يتمنى الموت في كل لحظة، وعند التنظيف اليومي لجرحه كان يصرخ (وديني عند إخوتي يا ماما)، جرّبت وجعه بنفسه حين تم نزع (18) دبوسًا من رأسي، كأنها أسياخ تنزع من اللحم".

تفاصيل كثيرة عايشتها هبة وعائلتها في هذه المعركة، مشهد النزوح كان يتكرر دائمًا بدءًا من بيتها الذي يقع في شارع 8 حتى استقر بها الأمر في أحد مراكز الإيواء الحكومية، وهنا بدأت معاناة جديدة!

تقول أم عمر: "في غرفة الإيواء المقسمة بين ثلاث عائلات، مساحة كل عائلة تقريبًا مترًا في مترين، نكون 20 فردًا بالنهار ونصبح 29 ليلاً، الخصوصية منعدمة، ومع سواد الليل تطاردني ذكريات أطفالتي، حنان والدي الشهيد، حزن أمي النازحة بعيدًا عني، تجمع إخوتي وأخواتي وضحكاتهم، أبكي وحيدة دون أن أشعر أحدٌ بحالتي".

هبة التي فقدت أكثر من 20 فردًا من عائلتها، ولا زال البقية تحت الأنقاض، تختتم حديثها بقولها: "أفتقد عائلتي كثيرًا، خاصة حزن أمي الدافئ"، وبتهيدة مليئة بالحسرة تختتم: "لم أحظ بوداع أطفالتي ومنحهم الحزن الأخير، ولم أقبل والدي"، أتمنى أن ينتهي كابوس الحرب".

في ذاكرة (نصر) صورة مؤلمة لقبور بلا أسماء



"كنا ندفن شهداء لا نعرفهم ونكتب على شواهد القبور كلمة "مجهول"، مستشفى الشفاء أصبح مقبرة كبيرة، شهدت اقتحامات وشهداء".

بهذه الكلمات تحدث الفلسطينية نصر البطريخي، وهو يروي ما عايشه من ويلات خلال نزوحه لخمس سنوات دون عائلته في مجمّع الشفاء الطبي بمدينة غزة، بسبب الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة التي اندلعت يوم 7 أكتوبر 2023، وإجبار المدنيين من سكّان شمال القطاع على النزوح إلى جنوبه، حيث شهد نصر اقتحام الاحتلال للمستشفى الذي يضم آلاف المرضى.

يقول الرجل الخمسيني الذي التحق حديثاً بعائلته التي نزحت دونه إلى خيمة في منطقة السوارحة وسط قطاع غزة: "كوني مصاب بالسرطان نزحتُ إلى مستشفى الشفاء، ظننت أن المرافق الصحية مكان آمن لكن خاب ظني، حوصرت هناك حتى فقدت الأمل بالالتقاء بعائلتي".

اعتقد البطريخي المصاب بالسرطان، والذي كان يسكن حي الشجاعية شرق غزة، إنه بذهابه إلى المستشفى سيضمن حصوله على العلاج خلال الحرب التي ظنّ إنها لن تطول، ولم يتوقع أن تتطور إلى حرب إبادة، بينما نقل عائلته إلى منزل أقارب له في حي النصر غرب مدينة غزة، لم يستطع مغادرة المشفى، بينما اضطروا هم للنزوح إلى الجنوب، وانقطعت

التطاريح بنودهم احتلال وطلبوا مني إبراز هويتي والسير باتجاه اليسار، كان هناك جهاز يصورني بالكاميرا وطائرة كواد كابتز فوق رأسي، بعدها يسندوا لي البطريق فلوراء إلى آخرش يا تواسني خيالك المصنوعة من الشوارد، ويكمل: "كان الوضع في المستشفى سيء جدًّا، عانيت من انعدام العلاجات، بهرأتني السم طان مولوا وألمأ أمياد، نزوح عيرون كبير من القطنوا واشتمت في الطبخاء، علان" المستشفى وهو أدى إلى قلة في الأكل والشرب، وكاننا حينها من مضايقات كبيرة".

وبلغتم علان مع القهر من تكرري موضع الطبخاء علان البطريق في شواطئنا على قلة الطواقم الطبية ونقص العلاج، فالجرحى كانوا ينزفون حتى الموت، يوميًا يعيش هذا المشهد، ما تسبب في تفاقم وضعه النفسي.

يتابع: "كنا نحفر القبور وندفن شهداء لا أهل لهم ولا نعرف من هم، نكتب مجهول على شواهد القبور، كل يوم يسقط شهداء سواء بسبب اقتحامات جيش الاحتلال للمستشفى أو بسبب القناصة المنتشرين في المباني المجاورة".

وكشاهد واجه الموت يوميًا يروي أصعب المواقف التي عاشها: "دفن عائلات كاملة في قبر واحد، ومشهد أطفال لا يجدون ما يأكلون، هذه الحرب مختلفة، عايشت الموت كل يوم لكثرة ما جمعت من أشلاء ودفنت شهداء".

باغتته الدموع، بينما تكمل زوجته هداية ما حدث معها: "فقدت أي تواصل معه، فلا اتصالات ولا شبكة انترنت تعمل، عشت مع فكرة الفقد يوميًا لعدم معرفتي مصيره، كل يوم بالنسبة لي جرعة خوف جديدة، كانت أصعب فترات حياتي، فهو مريض ولم تكن صحته جيدة حين نزح للمستشفى، ولم أجد طريقة للاطمئنان عليه".

كانت هداية مرغمة بشكل يومي على الاستعداد النفسي لتلقي خبر وفاته، تتحدث مع ابنها حول هذا الاحتمال، بينما لا تتوقف ابنتها هيا (25 عامًا) وهلا (19 عامًا) عن البكاء، تنهار هي من داخلها وتحاول التماسك كي تقوِّي ابنتيها.

هنا يعقب نصر: "مثلهم أنا أيضًا لم أتوقع أن ألتقي بعائلتي مجددًا، فما عايشته داخل مجمّع الشفاء الطبي من اقتحامات للجيش الإسرائيلي والإعدامات جعلني لا أتوقع النجاة، إن لم يكن بسبب القصف أو الإعدام فبسبب المرض والجوع".

كان البطريخي كلما اقترب جيش الاحتلال من المشفى، يغادر صوب أي مدرسة قريبة تحت القصف العنيف، مضيفًا إنه لم يكن هناك أي دعم للمحاصرين داخل المستشفى.

ويتناقض ما فعله الاحتلال الإسرائيلي في مجمع الشفاء الطبي من اقتحام وقتل للمدنيين مع بنود اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب والتي تنص في مادتها (18) على توفير حماية خاصة للمستشفيات والمرافق الصحية، إضافة إلى نص الاتفاقية على حماية المدنيين.

يتابع البطريخي: "عندما اقتحم جيش الاحتلال المستشفى في مارس، صمدت مع مئات المدنيين لآخر مرحلة، وقبل تدميره بالكامل، خرجت مع عدد كبير بيننا نساء وأطفال نحمل الرايات البيضاء وتوجهنا إلى شارع الوحدة، ثم تفرقنا، الموقف كان صعب جدًّا".

يكمل": عندما أصبح الوضع أهدأ تحرّكت باتجاه الجنوب متخذًا الطريق الساحلي، الذي كان خاليًا من البشر، وعند مفترق النابلسي اعترضني جنود الاحتلال وطلبوا مني إبراز هويتي والسير باتجاه اليسار، كان هناك جهاز يصورني بالكاميرا وطائرة كواد كابتر فوق رأسي، بعدها سمحوا لي بالمرور أنا وأناس آخرون كانوا معي هناك".

لم يتمالك أفراد عائلة نصر أنفسهم عندما رأوه أمام عيونهم حيّ يرزق بعدما عرف عنوانهم، تقول ابنته هلا: "الآن ردّتي روعي، صحيح كان تعبنا وخسران وزنه، لكنه الحمد لله لسة عايش".

ويختم: "أشعر بالقهر على كل من يعانون المجاعة، ما يجري فوق طاقتنا".

مصابة بالاكْتئاب... روح فاطمة تختنق تحت نار الإبادة



"وحدي أعيش حربًا ثانية، القصف والجوع والخوف حرب، وفقدان أدوية الاكتئاب، وجلسات الدعم النفسي الخاصة بي حربٌ ثانية تخنقني على مدار الساعة".

تصدمك فاطمة (اسم مستعار) وهي تتحدث بهذه العبارة وتضع يدها على قلبها كأنها سيقفز من بين ضلوعها، الشابة التي بدأت معاناتها مع الاكتئاب قبل نحو عامين، تفاقمت حالتها النفسية أكثر خلال الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، التي بدأت منذ 7 أكتوبر 2023م، بسبب فقدان الأدوية الخاصة بها، وانقطاعها عن العلاج تمامًا.

تعود قصة فاطمة (27 عامًا) إلى ما قبل الحرب، عندما خطبها ابن خالتها، وعاشت العائلتين الفرح لوجود علاقة طيبة، وقبل الزفاف أعلن الخطيب فسخ خطوبته عنها دون ذكر أسباب، ورغم محاولة الجميع فهم ما جرى لكنه رفض، ما تسبب بصدمة للشابة التي لم تتوقع حدوث هذا أبدًا.

تقول فاطمة بصوت مخنوق: "كنا متفاهمين جدًا وعلاقتنا ممتازة، اعتقد الجميع أننا سنكون أزواجًا مثاليين، لا أعلم حتى اليوم سبب خطوته المفاجئة، ولم يعلم أحد من عائلتنا إلا عندما وصلتني ورقة الطلاق".

ورغم محاولة فاطمة ومن حولها فهم ما جرى كان يرد "انقطع النصب"، ردَّ حيرهم أكثر ودفعهم لتحميلها المسؤولية بسؤالهم المتكرر "ماذا حدث حتى يفسخ

[illegible]

بعد 3 شهور بدأت فاطمة تتحسن، بدأت تضحك وتتحدث معهم ولم تعد تجلس في الغرفة وحدها، تطلب الخروج إلى البحر، زيارة الأقارب، هي خريجة جامعية وكانت متفوقة ومحبوبة بين زميلاتها كما يروي شقيقها، لكن كل شيء تغير عندما اندلعت الحرب. يوضح شقيقها: "أول الحرب كانت أمورها جيدة، مع أنها كانت تخاف وتسببت الحرب في حدوث وسواس قهري لها بسبب القلق والرعب من الأصوات العالية، كان الدواء متوفرًا، وبعض جلسات الدعم النفسي، ولم يكن لدينا نازحين واختلاط كبير مع الناس، كنا قريبين جدًا منها".

لكن التغيّر الواضح ظهر على فاطمة منذ فبراير 2024م، حيث بدأت حالتها تتدهور، يقول شقيقها: "ذهبت لجلب الأدوية من العيادة، وجدنا أن الجرعة تقلّصت للنصف، وهناك نوع أدوية غير متوفر، كانت تأخذ أدوية (لوسترال ، أونوزلابين، ايفكسور)، وخلال الحرب زادت الأدوية التي تحتاجها بسبب الانتكاسة التي حدثت لها، وقلّت جلسات الدعم النفسي بسبب الخوف من استهداف التجمّعات".

يؤكد الشاب أن الحرب وتأثيراتها كانت السبب وراء انتكاسة حالة فاطمة، إثر نقص الأدوية ونزوح أقارب تحدثوا معها عن خطوبتها كلما اجتمعت بهم، رغم تحذير الطبيب بعدم الحديث معها عن تلك التجربة.

يَتَنَهَّدُ بعصبية وحرقة ويكمل: "طلبنا منهم عدم التحدث بالموضوع دون فائدة، كانوا يذكِّروها بالأمر خلال حديثهم، طبعًا دون قصد ولكن نفسية فاطمة لا تفهم النوايا، دخلت في انتكاسة واكتئاب حاد جعلها ترفض تناول الأدوية".

حاولت فاطمة خلال الحرب الانتحار بسبب الانتكاسة التي أصابتها، بعدما غافلت أمها وأختها أثناء قَبْرِ العجين عند فرن الطين، لتأخذ شعلة وتحرق بها ملابسها، يتابع بحرقة: "اشتعلت بها النار وهي صامتة لا تتحرك، لولا صراخ أُمِّي وأختي جعلنا نركض أنا وأخي لنطفئها وننقلها إلى المستشفى.

عانت فاطمة من حروق في يديها وجزء من رقبته، دون أن يظهر عليها أي ملامح لشعورها بالألم، كان الصمت سيد الموقف، وطلب الطبيب عرضها مجددًا على طبيب نفسي لتجنب تكرار الحادثة. يكمل شقيقها: "من لحظتها ونحن نراقب فاطمة ولا نتركها نهائيًا،

نحاول توفير الدواء، ولكن لا يمكننا توفيره، الأدوية النفسية مرتفعة الثمن وغير متوفرة، وهذه مشكلة لا نستطيع حلها".
ويعدّ ما تعرّضت له فاطمة خرقاً لاتفاقية جنيف الرابعة، الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، والتي تنص في مادتها (16) على حماية النساء أثناء النزاعات المسلحة، وضمان حصولهن على الرعاية الصحية، وتنتهك المادة (55) التي تُلزم القوة المحتلة بضمان توافر المواد الطبية والغذائية للسكان المدنيين.
يختم شقيقها بحزن: "أختي فتاة صغيرة، لا تغيب عن بالي لحظة، كل ما أطلبه من المؤسسات أن تسعى لتوفير الأدوية للمرضى النفسيين، أختي ليست وحدها من تعاني، كل من هم مثل حالتها يعانون ويجب الوقوف معهم".



كتبت الصحفية أنسام القطاع

الولادة تحت الإبادة... خوف وجوع ومواليد دون رعاية

"تغرّزت بدون بنج، كنت بحسّ بالإبرة وهي بتدخل جسمي وتطلع منه، رحلة حملي وميلادي كانت صعبة". بهذه الكلمات بدأت العشرينية شيماء عرفات تروي معاناتها مع الحمل والولادة، خلال الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، التي اندلعت يوم 7 أكتوبر 2023 م، حينها كانت شيماء حاملاً في شهرها الثاني، ومنذ ذلك الوقت لم تتلقَ أي رعاية صحية أو تغذية طيلة فترة حملها. بلغت المجاعة حدّها الأقصى شمال قطاع غزة، حيث رفضت شيماء النزوح إلى جنوب القطاع عندما أجبر جيش الاحتلال الإسرائيلي سكّان شمال القطاع على النزوح إلى جنوبه، تقاسمت الطعام مع أفراد عائلتها، ومنحت الأولوية لطفلتها رهف (عام ونصف). تقول: "عندما كنا نوزع حصص الطعام، كنت أعطي حصتي لطفلي رهف رغم حاجتي للتغذية، قلبي يتقطّع عليها وهي تشعر بالجوع وأنا لا أستطيع توفير طعام كافٍ لها".

في مايو 2024م، داهم شيماء المخاض ليلة اجتياح حي الزيتون، وعدم وجود أطباء في مجمع الصحابة الطبي سوى طبيب وممرضة، وعدم جاهزية المشفى بالمعدّات الطبية، حتى تم تغريزها دون تخدير. "كانت أوقاتاً صعبة، نزحت خلال حملي 10 مرات، كنت أحمل طفلي رهف وجنيّاً في أحشائي"، تقول شيماء التي عانت ثقل الحمل وهي تنزح سيراً على الأقدام، أنجبت طفلتها ماسة بعد مخاضٍ عسير، وعانت الرضاعة من عجزٍ في التنفس، والتسمم في الدم الذي سبب تكسراً فيه.

عانت شيماء من تعرّض الرضیعة لسوء التغذية، فالأم لم تتلقَ طعامًا ولا دواءً خلال الحمل، والمجاعة ضربت مدينة غزة، وبعد خروج ماسة من الحضانة، اعتادت الحليب الصناعي ورفضت حليب أمها الذي لم يكن مشبعًا، وهذا شكّل عبئًا ماليًا على العائلة مع وصول سعر العلبة إلى 100 شيكل (نحو 28 \$)، إضافة إلى شحّ الحليب، ما أصاب الرضیعة بسوء التغذية من الدرجة الثالثة، وكانت بحاجة لنظام غذائي خاص، فوزنها وطولها غير مناسبين لعمرها.

تتشابه معاناة شيماء مع العشرينية سارة الطلو، التي تزوجت قبل اندلاع الحرب بيوم واحد، واكتشفت حملها بعد أسبوعين من الزواج من خلال فحص على شريط الحمل.

لم تنزح سارة إلى جنوب قطاع غزة، وخلال حملها لم تتلقَ أي رعاية صحية، وعانت من سوء التغذية، حدث حزام ناري بجانب بيتها في حي الشجاعية، نجت منه بأعجوبة، ما أجبرها على النزوح قسرًا إلى غرب مدينة غزة في ديسمبر 2023م.

"في كل مرة كنت أنزح فيها أو يحدث قصف بالقرب مني، أشعر بالخوف على جنيني، خاصة أنني لم أستطع توفير الرعاية الصحية والغذائية له"، تقول سارة التي خضعت للفحص الطبي وهي في الشهر السادس لحملها، حيث ذهبت إلى مجمع الصحابة وسط مدينة غزة سيرًا على الأقدام، وكانت بحاجة إلى فيتامينات وأدوية لم تتوفر، واستطاعت توفير جزء من الأدوية بصعوبة.

طيلة فترة حملها كانت سارة تصاب بهواجس كيف ستلد في ظل هذه الظروف، وهل ستجد الرعاية الطبية اللازمة، هل ستلد في مستشفى أم تحاصرها دبابات جيش الاحتلال الإسرائيلي، وستضطر للولادة في مكانها وهي محاصرة دون تلقي الرعاية لها ولجنينها.

"أنجبت في شهر يونيو 2024م، بعد معاناة طويلة خضتها خلال فترة الحمل، وبدأت معاناتي مع الرضاعة وتوفير الحليب الصناعي لطفلي، فأنا لم أتلقَ الغذاء الصحي المناسب، ما جعل الحليب الطبيعي غير مشبع"، تختتم سارة.

تقول طبيبة النساء والولادة في مستشفى العودة، إسراء أبو ركة، إنه على مدار حرب الإبادة واجهت النساء الحوامل والمرضعات صعوبات جمّة، منها صعوبة الوصول للمستشفيات، فالسيدة التي تزور المستشفى ربما لا تحظى بفرصة زيارة ثانية، وهناك الكثير من النساء كانوا بحاجة إلى نظام غذائي خاص ولكن المجاعة حالت دون التزامهن بأي نظام.

أما بالنسبة للمرضعات، فقد عانت الكثيرات من فقر الدم نتيجة شحّ المواد الغذائية، كما توضح أبو ركة، إضافة إلى سوء التغذية الذي أصاب أطفالهن، وعدم تناسب أوزانهم وأحجامهم مع أعمارهم.

ويتناقض ما تعرضت له النساء في قطاع غزة مع اتفاقية جنيف الرابعة، التي نصت في مادتها (16) على حماية خاصة للنساء الحوامل، كما نصت المادة (23) على ضرورة السماح بمرور الإرسالات الإنسانية ومن بينها الأغذية والملابس والمقويات الخاصة بالحوامل.

وأوضحت أبو ركة إن الكثير من النساء الحوامل لم يتلقين أي رعاية صحية وبعضهن اكتفين بالفحص البيتي، وهذا أمر غير صحي خاصة أن الجنين بحاجة لمتابعة دورية، لمتابعة حجمه ووزنه، فقد يكون صغيرًا داخل رحم الأم أو متوفيًا وهي لا تعلم، وهذا بدوره يسبب مضاعفات صحية للأم.

وتابعت إن الكثير من النساء كان يفترض أن يتم إجراء إنهاء حملٍ لهن حيث تكون السيدة أنهت شهور الحمل وهي لا تعلم، وبحاجة لتدخل طبي لتحديد موعد الولادة، والبعض بحاجة لعملية قيصرية، والكثيرات أصبن بسكّر الحمل وهي لا تعلم نتيجة عدم إجراء فحص الحمل.

وتشرح أن هناك نساء لم يكن حملهن الأول خلال الحرب، لديهن تجربة في كيفية العناية بالجنين، وهناك نساء وضعن جنينهن في مراكز إيواء أو في بيوتهن، ولم يستطعن الوصول إلى المستشفيات نتيجة الحصار الخانق، إضافة إلى من واجهن مشكلة التغرير الخاطئ ما سبب لهن مضاعفات صحية، كما عانت الكثيرات من النزيف المتواصل ووجود بقايا الخلاصة، وما زالت معاناة الحوامل والمرضعات تتواصل.

نقص العلاج أفقد يوسف عينه... والبقية أصعب



ينظر الشاب فراس العقّاد (24 عامًا)، بقلق إلى عينه المتبقية بعدما فقد البصر في عينه اليسرى بسبب نقص العلاج والمستلزمات الصحية والمتابعة الطبية، فحالاته تدهورت نتيجة الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة التي اندلعت منذ 7 أكتوبر 2023م، وعطّلت عمل القطاع الصحي، وأثّرت سلبيًا على المرضى.

يعيش فراس في خيمة من القماش البالي، لا تقي حرّ صيف ولا برد شتاء، منذ نوفمبر 2023م، بعدما نزح قسرًا مع عائلته من بيتهم في وسط مدينة خانونس جنوب قطاع غزة، إلى منطقة المواصي غرب المدينة، وبدأ رحلة معاناة يومية.

يقول فراس: "أعاني من مرض السكري درجة أولى منذ (12) عامًا، لكن نقص العلاج خلال الحرب أثّر على حياتي، فتسببت في ضعف المناعة، وارتفاع حموضة الدم، واضطراب في العصب السادس والسابع، تسبب في فقدان بصري في عيني اليسرى، ونزيف داخلي لشبكية العين اليمنى، وتكرار حالة التبول اللاإرادي بسبب ذلك".

نزح يوسف في نوفمبر 2023م، في بداية شهور البرد، كانت الأغذية قليلة، فأثّر ذلك على أطراف جسمه، فهو لا يشعر بهم أحيانًا، والنوم على الرمال أثّر على استقرار صحته، فأصبح يستخدم البامبرز، لعدم قدرته على الذهاب المتكرر إلى دورة

المياه لقضاء حاجته ليلاً. يتحشرج صوته وهو يتابع: "لم أتخيل أن يأتي يوم أبحث فيه عن علاجي وإبر الحقن الخاصة بي ولا أجدها، فوصل بي الأمر لاستخدام (الاسرنج) الواحد عدة مرات في اليوم، حسب عدد جرعات العلاج بسبب عدم توفرها، إن حصلت عليها فالكمية لا تكفي أسبوع".

يتلقّى يوسف يومياً أربع جرعات من علاج الأنسولين النوع الأول والثاني، باستخدام إبرة واحدة، ما يجعله عرضةً للأمراض مثل التهاب الكبد الوبائي بسبب التلوث، لكن لا يوجد بديل ولا حتى مواد تعقيم لاستخدامها مرة أخرى.

يتابع: "عدم المداومة على الجرعات المطلوبة أثر على حاسة البصر، تدهورت حالتي، فقدت البصر في عيني والثانية تعاني النزيف في الشبكية، وإن بقي الحال على ما هو عليه سأفقد بصري تمامًا".

بمرارة يتحدث الشاب عن ارتفاع الأسعار وعدم توفر المستلزمات الصحية مثل البامبرز التي كانت مجانية أو شبه مجانية قبل الحرب للمرضى والحالات الخاصة، فهذا الأمر جعل منه شخصاً انطوائياً، لا يستطيع الابتعاد عن الخيمة، فهو يحتاج لدخول دورة المياه في أي لحظة، ومعرض لفقدان الوعي في أي زمان ومكان.

يضطر يوسف للذهاب سيراً على الأقدام مسافات طويلة من أجل إجراء فحص طبي، أو ركوب عربة تجرها الدواب لعدّة ساعات، يقول: "تعرضت لفقدان الوعي في الطريق عدة مرات بسبب التعب والإرهاق، وكنت أجد من المارة من ينقذني أو يتصل بالإسعاف".

معاناة يومية أخرى يعيشها يوسف في محاولة الحفاظ على صلاحية الجرعات في ظل عدم وجود ثلاجة والانقطاع التام للكهرباء في قطاع غزة، "من ضمن صلاحية أنبوب العلاج وعدم فساده"، يتساءل يوسف بحرقة.

يكمل: "لا يُعقل أن يُحفظ علاج مريض في حقيبة داخل أحد زوايا الخيمة، أو على رف خشبي مكشوف ضمن الأدوات الشخصية، فظروف المعيشة غير ملائمة للحياة، فما بالك للدواء".

يعاني كذلك يوسف من سوء التغذية، فأصبح أكله محدوداً لعدم توفر الغذاء الذي يناسبه وضعه الصحي مثل الفواكه والخضار، المفقودة من السوق بسبب منع الاحتلال الإسرائيلي إدخالها إلى قطاع غزة.

يشير إلى جسده الضعيف معقّباً: "انعدام الطعام الصحي أفقدني وزني، كنت في بداية الحرب 74 كيلوجراماً، والآن أصبحت 48 فقط، الطعام المتوفر من المساعدات الإنسانية آخذ منه ما يناسب حاجة جسمي فقط".

ويخالف ما يعانيه يوسف اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، والتي نصت في مادتها (55) على أنه من واجب دولة الاحتلال أن تعمل بأقصى ما تسمح به وسائلها على تزويد السكان بالمؤن الغذائية والإمدادات الطبية؛ ومن واجبها على الأخص أن تستورد ما يلزم من الأغذية والمهمات الطبية وغيرها إذا كانت موارد الأراضي المحتلة غير كافية.

وما زال يوسف يأمل بفرصة علاج خارج قطاع غزة، توقف نزيف عينه المهددة بفقدان البصر، بالإضافة إلى علاج يمنع ارتفاع حموضة الدم عن طريق الحقن العلاجية، ويختم: "أتمنى الحصول على فرصة علاج عن طريق منظمة الصحة العالمية خارج قطاع غزة".



كتبت الصحفية
بسمة أبو ناصر

تعذيب وإذلال واعتقال "بالخطأ"... هذه قصة عبير

لم تكن ضربات قلب الأربعينية عبير غبن تتوقف عن التزايد خوفاً، فمنذ اندلعت الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة في 7 أكتوبر 2023 م، كانت تمسك صغارها الثلاثة بقوة، لم تخش من القصف وحده، بل من فقدانهم في فوضى الحرب، لكن ما تخشاه سيحدث، ليس تحت الركام، بل خلف القضبان!

حين أجبر جيش الاحتلال الإسرائيلي سكان شمال قطاع غزة على النزوح إلى جنوبه، ظلّت عبير في بيتها بمدينة جباليا شمال قطاع غزة، وذات يوم مشتعل، كانت في مستشفى كمال عدوان برفقة طفلها الذي يعاني أزمة صدرية، ويحتاج رعاية طبية، ومع تصاعد القصف واقترب الخطر، قررت النزوح.

"كان ذلك بداية ديسمبر 2023م، حملت طفلي وركضت نحو مدرسة الفاخورة في جباليا، احتشد آلاف النازحين محاولين النجاة بأي وسيلة، لكن المكان تحوّل إلى هدف للصواريخ، ولم يعد هناك ملاذ آمن"، تقول عبير التي تقيم حالياً في بيت شقيقتها في جباليا. "سقطت القذيفة قربنا، شعرت أنني متّ للحظة، استيقظت على صوت الصراخ، أفراداً من عائلتي استشهدوا ولم أستطع توديعهم"، تحكي وعيناها غارقتان في الحزن، ومع انعدام الأمان، اضطرت يوم 2 ديسمبر 2023م، للنزوح إلى جنوب قطاع غزة.

جمعت عبير أطفالها الثلاثة، وما تبقى من أمل، وسارت عبر ما زعم الاحتلال إنه "الممر الآمن"، للنزوح إلى جنوب قطاع غزة، لكن عند

أحد حواجز التفتيش تغير كل شيء! "اتركي أطفالك واتبعي التعليمات"، بلهجة صارمة، صرخ الجندي، حاوت عبير فهم ما يجري، لكن لا وقت للأسئلة، أمسكوا بها بينما تركت أطفالها يواصلون السير وحدهم، نظرت إليهم للمرة الأخيرة، محاولة حفظ ملامحهم، خشية ألا تراهم أبدًا.

اقتيدت عبير إلى نقطة تفتيش، كان بانتظارها مجموعة من الجنود والمجنّدين، "اخلعي حجابك وملابسك بالكامل"، أمرتها إحداهن، ترددت لوجود جنود، لكنها كانت أمام تهديد مباشر: "إما أن تفعلي أو نطلق عليك النار فورًا"، لم يكن أمامها خيار، "شعرت أن كرامتي تُسحق تحت أقدامهم"، تقول عبير.

تكمل: "بعد التفتيش خضعت لتحقيق قايّس استمر لساعاتٍ عندَ الحاجز، وبعده إلى سجنٍ عنتوت بالداخل المحتل"، الأسئلة كانت تتوالى بلا نهاية: "من أنت؟ أين كنت؟ ماذا تعرفين؟"، وعندما لا تُرضِ إجاباتها المحقق، يبدأ التعذيب: صفع على الوجه، شدّ للشعر، وركلات جعلتها ترتجف من الألم، والصدمات الكهربائية التي جعلت صراخها يشقّ المكان دون أن يسمعها أحد.

بعد أيامٍ صعبة من الاستجواب، سألت بصوتٍ منهك "ما تهمني؟ لماذا أنا هنا؟ ابتسم المحقق بسخرية وأجاب ببرود: "أنت زوجة إرهابي"، حاولت الدفاع عن نفسها، وذكرت اسم زوجها ورقم هويته ومكان سكنهم، لكن المحقق لم يبدِ أي اهتمام، وبعد نصف ساعة، عاد ليقول: "اعتقلناك بالخطأ، لكن لا يمكن الإفراج عنك، الاعتراف بأن الجيش أخطأ مستحيل".

نُقلت عبير إلى سجن الدامون، التقت هناك بأربعة عشر أسيرةً من غزة، كلهن حملن ذات الوجع، في الزنزانة كانت الحياة شبه معدومة، الجدران ضيقة، الهواء ثقيل، البطانيات لا تكفي لمواجهة برد ديسمبر، الطعام بالكاد يسدّ الرمق، والماء شحيح وأحيانًا ملوث.

تعرضت عبير للإذلال خلال فترة اعتقالها، خاصة حين جاءت دورتها الشهرية، تقول: "لم يوفروا الفوط الصحية، ولا وسائل نظافة، فقط أُلِم فوق الألم، شعرت أنني في مكان خارج حدود الإنسانية".

ويعد ما تعرضت له عبير انتهاكًا لاتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، والتي تضمن الحماية للمدنيين، وخالف الاحتلال الإسرائيلي المادة (27) التي تضمن المعاملة الإنسانية، والمادة (76) التي تفرض فصل النساء عن الرجال، أي احترام خصوصيتهن، وهو ما لم يحدث مع عبير.

بعد (53) يومًا من التعذيب، جاء الخلاص، اقتيدت عبير خارج الزنزانة دون تفسير، وضعوها في مركبة عسكرية مع أسيرات أخريات، ظنّتها ستُنقل إلى سجنٍ آخر، أو أن سيناريو التعذيب سيُعاد، لتجد نفسها بين الأسرى المحررين، "للحظة لم أصدّق، هل هذا حقيقي؟"، تتساءل عبير، وكأن الحرية باتت مستبعدة تمامًا.

لكن الفرحة لم تكتمل، فقلوب عبير كان مثقلًا بالقلق على أطفالها، هل ما زالوا على قيد الحياة؟ من اعتني بهم في غيابها؟ تختنق الكلمات على شفاه عبير وهي تروي كيف بحثت عنهم طويلًا، حتى عثرت عليهم لدى عائلة فلسطينية تكفلت برعايتهم بعدما تركوا وحدهم على الحاجز، احتضنتهم بقوة، لكن شيئًا داخلها انكسر.

خرجت عبير وهي تحمل رسائل الأسيرات لأهاليهن، تتضمن أسماءهن وأماكن اعتقالهن، بمرور الوقت حاولت عبير لملمة ما تبقى من روحها، لكن جسدها لم يعد كما كان، روحها مثقلة بجراح غير مرئية.

"أحتاج إلى عمليات جراحية لعلاج آثار التعذيب"، تقول عبير التي تشتكي من آلام في جسدها، كما لم تستطع العودة كما قبل الاعتقال، فهي تحاول استعادة توازنها النفسي من خلال جلسات الدعم النفسي، تختم: "أحاول أن أفهم كيف أعود للحياة بعد كل هذا الفقد والتعذيب".

الجوع يضرب رأس عائشة مجددًا .. "تعبنا من كل شيء"



"الجوع يقتل أيضًا، كما الرصاص تمامًا، ربما تقتلك الرصاصة مرة واحدة، لكن الجوع قتلٌ يومي".
بهذه الكلمات، بدأت السيدة عائشة الدسوقي (58 عامًا) حديثها واصفة تجدد معاناتها مع شبح المجاعة الذي ضرب قطاع غزة منذ مطلع مارس 2025م، بعدما اعتقدت أن هذه المأساة ولّت إلى غير رجعة، ثم تشير إلى زوايا خيمة قماشية تعيش فيها مع أسرتها المكوّنة من (11) فردًا، وتكمل: "لم يكتف الاحتلال بفرض التجويع علينا، بل دمّر بيتنا ولم يترك لنا أي شيء جميل".

عائشة الدسوقي، هي سيدة كانت تسكن حي الزيتون شرق مدينة غزة، عندما شن الاحتلال الإسرائيلي حربًا على قطاع غزة يوم 7 أكتوبر 2023م، وأجبر سكان شمال القطاع على النزوح إلى جنوبه، صمدت عائلة عائشة خمسة شهور وهي تعيش أمام ركام منزلها المدمّر، وسرعان ما أُجبروا على النزوح إلى الجنوب بعدما ضربت المجاعة أمعاءهم الخاوية.

تتنهد عائشة وهي تتناول طعامًا حصلت عليه من تكية مخيم النازحين الذي تقطنه غرب مدينة غزة، وتقول: كانت التكية ملاذًا للجائعين، وفسحة أمل يومية لآلاف العائلات التي فقدت كل شيء، رغيف الخبز وكرامة الانتظار، نقف في طوابير أمام التكية لساعات، لنحصل على وجبة طعام واحدة يجب أن تكفينا ليوم طويل، بل أحيانًا لا نحصل على شيء، كل

هو معلبات من الفاصولياء والبازيلاء أو العدس".

تستهجن السيدة التي تعاني من الضغط والسكر والقلب، عدم وجود أي نوع من الطعام يمكن أن يقوّي جسم الإنسان، فمثلها من أصحاب الأمراض المزمنة تسبب سوء التغذية في تدهور وضعها الصحي، تعقّب: "السوق فارغ من الخضار، لا يوجد شيء نشتره، وإن وُجد فسعره مرتفع جدًّا، أفقدونا الطعام وأفقدونا إنسانيتنا، كأننا بدائيون نبحث فقط عما يسدّ جوعنا".

تتهجد السيدة وهي تستذكر معاناتها مع المجاعة التي ضربت شمال قطاع غزة في المرحلة الأولى من الحرب، حين رفضت النزوح من الشمال، ونزحت عدّة مرات داخل مدينة غزة، تقول: "عانينا من الجوع ونقص المياه، لجأنا إلى منزل عائليّ مدّمّر جزئيًّا، تقاسمناه مع القطط والكلاب، كانت الأسواق شبه خالية من المواد الغذائية بسبب الحصار، اضطررنا لطهي الأعشاب لنأكل".

حين اجتاحت الاحتلال حي الزيتون في مارس 2024م، تعرّضت عائشة وعائلتها لقصف مدفعي طال، اضطروا للاختباء في غرفة صغيرة وسط دمارٍ شبه كاملٍ للحي، عاشوا متنقلين بين الحي ومستشفى الشفاء متمسكين بما تبقى من أملٍ، حتى جاءهم أمر إخلاء البيت، خرجوا تاركين خلفهم كل شيء، فقصف البيت على ما فيه.

لما اشتدت المجاعة أُجبرت على النزوح مع عائلتها مشيًا على الأقدام عبر شارع الرشيد (شارع البحر)، غرب مدينة غزة. تضع يدها على قلبها كالمرعوبة وكأن الحدث يُعاد أمامها: "كان يوم 23 مارس 2024م، منتصف شهر رمضان، أوقفنا جنود الاحتلال على الحاجز وفتشونا، صادروا ممتلكاتنا، ألقوا الكرسي المتحرك الخاص بزوجي في البحر، أجبروا زوجي رغم إصابته على المشي".

نزلت عائشة وعائلتها إلى خيمة صغيرة في مدينة خانيونس جنوب قطاع غزة، لم تكن تتسع لكل هذا العدد، عانوا جميعًا من الحر صيفًا، والبرد شتاءً، ومأساة انعدام الخصوصية ومعها كل مقومات الحياة وارتفاع أسعار الغذاء والدواء بشكلٍ جنوني، حتى أنهم أُجبروا على الاعتماد على طعام التكيات الذي لا يتعدى البقوليات.

مع دخول الهدنة التي وقتها الفصائل الفلسطينية مع الاحتلال حيز التنفيذ يوم 19 يناير 2025م، عادت عائشة وعائلتها إلى مدينة غزة، تكمل: "واجهنا صعوبةً في إيجاد وسيلة نقلٍ تحملنا من خانيونس إلى مدينة غزة، وتكبّدنا مبالغ كبيرة، ولما وصلنا صُدمنا بمشاهد الدمار وكأن نكبة 1948م تعود من جديد، أنشأنا خيمة لتعيش فيها العائلة كلها".

مع خرق الاحتلال الإسرائيلي للهدنة في منتصف مارس 2025م، وإغلاقه لمعابر قطاع غزة، عادت مجددًا الأسعار للارتفاع الجنونين وفرغ السوق من الخضراوات، لتطل المجاعة بوجهها من جديد، وتنفخ سمّها في وجه عائشة.

تقول: "مجددًا نعيش على المعلّبات التي تصلح لتقوية الأجساد، فقدان تام للغذاء والدواء، الجوع قتل أرواحنا وكرماتنا قبل أجسادنا". ويخالف ما تعرّضت له عائلة عائشة بنود اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين وقت الحرب، وخاصة المادة (59) التي تنص على ضرورة أن تسمح دولة الاحتلال بعمليات الإغاثة للسكان

وتسهيل مرور رسالات الأغذية والامدادات الطبية والملابس، كما كفلت في مادتها (16) حماية خاصة للمرضى والعجزة والحوامل.

وتؤكد عائشة إنها سترحل لو سُنحت لها فرصة للهجرة بعدما فقدت كل شيء، ولم تعد قادرة على احتمال هذه الحياة غير الآدمية، فأمل العودة إلى حياة طبيعية بات مستحيلًا في ظل تواطؤ دولي سمح للاحتلال بتجويع أهل غزة مرارًا. تتنهد عائشة وتختتم: "تعبنا من البحث اليومي عن الطعام، تعبنا من حياة الخيام، تعبنا من انعدام الخصوصية، تعبنا من كل شيء حولنا".



كُتبت الصحفية
فداء حلس

فقدوا البصر بغزة... طابور طويل بانتظار أمل مفقود

تتحسس هديل أبو فول (18 عامًا) عينيها، ثم تهزّ رأسها بيأس وهي تتمتم: "لم أتوقع أن أفقد بصري، الحرب قلبت حياتي تمامًا". كانت هديل تسكن مع عائلتها في مدينة رفح جنوب قطاع غزة، وظلّت في بيتها حتى بعد اندلاع الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة يوم 7 أكتوبر 2023م، وفي مايو 2024م، أجبر الاحتلال الإسرائيلي سكّان مدينة رفح على النزوح خارجها، وأثناء نزوح عائلة هديل حدثت الكارثة.

تقول هديل: "أطلقت مسيرة إسرائيلية صاروخًا علينا خلال نزوحنا إلى مدينة خانيونس"، يخنق صوتها وهي تكمل: "أبي وأمي استشهدوا وأنا بطلت أشوف بعيوني، عندي إخوتي أمير وأنس أطفال، وحاليًا صديقة أُمي اللي بتهتم فينا". تعيش حاليًا أبو فول مع صديقة والدتها في خيمة غرب دير البلح وسط قطاع غزة، وهي التي تهتم برعايتهم، ورغم فقدان أبو فول لبصرها، منذ يونيو 2024م، إلا أنها تحاول مواصلة تعليمها في الثانوية العامة، من خلال تطبيقٍ ناطقٍ يساعدها على متابعة دروسها. تصف أبو فول ما حدث معها بالكارثي، تتنهد وهي تكمل: "بعد أسبوع من وجودي بالمستشفى، والشاش الأبيض على عيوني، وبعد رفعه، كنت بشوف خيال بس، وبعد خمس شهور فقدت البصر تمامًا".

أجمع الأطباء أن الرؤية لن تعود مجددًا، خاصة أنه لا يوجد أعصاب ولا قرنية وشبكية، فجميعها تلفت بسبب الإصابة، تعقّب هديل:

"أصعب أشي مر عليا بحياتي". رغم ذلك استمرت هديل بالبحث عن علاج، علّ بصرها يعود مجددًا، غير أن ذلك عاد بالسلب عليها، نتيجة عدم وجود أدوية أصلًا، أو حتى أجهزة تشخيص لمرضى العيون، حسب ما أوضحت، لكنها لم تتقبل بعد فقدانها للبصر، وتأمل بإجراء عملية جراحية خارج قطاع غزة، تعيد لها نظرها.

هديل هي واحدة ممن أصيبوا بفقدان النظر نتيجة التأخر في علاج حالتهم، ليضافوا إلى آخرين ولدوا وهم فاقدو البصر، لكنهم يعانون في الحصول على الأدوية الخاصة بهم.

تمامًا مثل أرؤى ظاهر (27 عامًا)، وهي من سكّان حي التفاح شرق مدينة غزة، والتي وُلدت بإعاقة بصرية، حيث شخّصها الأطباء منذ الصغر بالتهاب صمغي ملون في الشبكية يمنع الرؤية، حاولت البحث بكل السبل عن علاج لكن دون جدوى.

اليوم لا تجد أرؤى في غزة سوى معاناتها، إذ توقفت كل العلاجات الخاصة بها منذ بداية الحرب، تقول بصوتٍ مختنق: "أعيش على وجعٍ يلزمني طيلة الوقت، فالأدوية الخاصة بتخفيف وجع العيون مفقودة تمامًا".

توضح: "وجعنا غير مقتصر على معاناة فقدان البصر؛ بل نحتاج لأدوية وقطرة تخفيف ضغط العين، أعاني أيضًا من فشل كلوي منذ عامين ونصف، زادت معاناتي في الحرب خاصة بسبب النزوح المستمر من مكانٍ لآخر، وهذا شكل عبثًا عليّ وأزمة نفسية".

تفاقمت معاناة أرؤى خلال الحرب، فهي تعيش الخوفَ مضاعفًا أثناء القصف، والنزوح جعلها في مواجهةٍ مباشرة مع الخطر، خاصة كونها فاقدةً للبصر.

وفي ظل التدهور المستمر بالمنظومة الصحية في قطاع غزة، لا تستطيع وزارة الصحة الفلسطينية توفير العلاج الخاص بمرضى العيون، أو حتى إجراء عمليات جراحية لهم، بسبب غياب الأجهزة التشخيصية، وتدميرها من قبل جيش الاحتلال الإسرائيلي.

يؤكد د. حسام داوود، استشاري طب وجراحة العيون في مستشفى العيون بغزة: "الكثير من مصابي الحرب فقدوا بصرهم بسبب قلة الأدوية والمعدات والأجهزة الطبية، معظم الإصابات كانت من الشباب والفتيات، وأصبحوا الآن فاقدو البصر".

ويوضح داوود والحاصل على زمالة جراحة القرنية وأمراضها، أن مرضى ارتفاع ضغط العين كان لهم عيادةٌ خاصة تهتم في رعايتهم، لكن بسبب فقدان الأجهزة التشخيصية، جزءٌ كبيرٌ منهم فقدوا بصرهم، والعامل الأهم فقدان الأدوية المثبطة لضغط العين، أو ندرتها وشحها.

وتابع بأن المرضى كانوا يحصلوا على ثلاث أنواع من القطرات، الآن يستخدمون واحدة، ما أدى إلى تذبذب ضغط العين، وأثر سلبيًا على العصب البصري، وجزء كبير منهم فقدوا مجال الإبصار الصحي.

وتابع: "مرضى جراحة القرنية الأشخاص الذين تعرضوا لانفصال شبكي أو قطع في الشبكية ولم نستطع تدارك حالتهم في الوقت المناسب، وانتظروا لأشهر طويلة حتى جاء مدد من الخارج".

يوضح داوود أن وفدين وصلا من الجزائر ومصر في ديسمبر 2024م، لإجراء عمليات جراحية لمرضى جراحة القرينة (الأشخاص الذين تعرضوا لانفصال شبكي أو قطع في الشبكية)، تم انقاذ بعض الحالات؛ وحالات أخرى لم تُقدم الرعاية المطلوبة لهم نتيجة تأخر العلاج وعدم الاستفادة من هذه الرعاية.

وأضاف داوود: "نحو 500 حالة فقدوا بصرهم نتيجة عدم توفر المستهلكات اللازمة والأجهزة الجراحية الطبية لهؤلاء المرضى". وحسب د. داوود، فإن عمليات المياه البيضاء توقفت لفترة طويلة خلال الحرب، وعاد العمل لإجراء هذه العمليات خلال الحرب منذ إبريل 2024م، لكن بوتيرة قليلة، وهناك أكثر من 1000 حالة في مشفى العيون وحدها بحاجة ماسة لاستئصال المياه البيضاء وزراعة عدسة، رغم أنها تعدّ من أبسط العمليات التخصصية لجراحة العيون. ويتناقض ما تعرّض له المرضى مع اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، والتي نصت في مادتها (23) على كفالة حرية مرور جميع رسالات الأدوية والمهمات الطبية، وحرية مرور أي رسالات من الأغذية الضرورية، والملابس، والمقويات المخصصة للأطفال دون الخامسة عشرة من العمر، والنساء الحوامل والنفاس. وختم د. داوود بأن وزارة الصحة تقع عليها مسؤولية كبيرة تجاه المرضى، غير أنه المنظومة الصحية في القطاع غير قادرة على مساعدة المريضة نتيجة عدم توفر العلاج المناسب ومنع الاحتلال إدخال الأدوية.

حكاية الطفلة ليلي هل نجت من ظلت وحيدة بعد مجزرة؟



"ما بعرف كيف أجابها... كل يوم بتسأل: وين ماما؟ وين بابا؟ وأنا ما عندي كلام يريحها، "بهذه الكلمات تبدأ ابتسام زيدية حديثها عن ابنة شقيقتها، ليلي، الطفلة التي لم تكمل عامها الثالث، ووجدت نفسها وحيدة، بعد أن فقدت أسرتها في قصف على حي الصحابة منتصف فبراير 2024.

منذ بدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، يوم 7 أكتوبر 2023م، نزحت عائلة فايز الخصري والد ليلي، وزوجته لبنى التي كانت على وشك الولادة، من بيتهم في حي الشجاعة شرق مدينة غزة، بحثًا عن الأمان، أقاموا في منزلٍ مكتظٍ بالنازحين غرب مدينة غزة، حيث كانت العائلات تتقاسم الغرف القليلة، وكل مساحة ضيقة تتحول إلى مأوى.

تقول الخالة ابتسام: "رغم القصف والمجاعة، فضّلت عائلة شقيقتي لبنى البقاء شمال قطاع غزة، وعدم النزوح إلى جنوب القطاع، حين أجبر جيش الاحتلال الناس على ذلك، كانت مغادرة المدينة محفوفة بالمخاطر، أحيانًا يقضون النهار خارج المنزل لتخفيف الاكتظاظ، والعودة نهاية اليوم عند موعد النوم".

نزحت عائلة الطفلة ليلي لاحقًا إلى مدرسة في شارع الصحابة بحي الدرج وسط مدينة غزة بحثًا عن الأمان، لكن القصف لم يترك لهم فرصة للنجاة، قصف مفاجئ دون سابق إنذار، وفي لحظة واحدة، انتهت حياة 120 فردًا،

ووالدتها الحامل التي كانت على وشك الولادة، وشقيقتها التي تكبرها بعامين. "وصلني خبر القصف، ركضت على المستشفى، وما كنت أعرف إنه ليلى نجت.. لما شفيتها.. ما عرفت.. وجهها كان متورّم، وجسمها كله كدمات، كانت تبكي، بس لما سمعت صوتي، مدت إيديا.. وقتها بس عرفت إنها ليلى"، تقول ابتسام. نُقلت إلى المستشفى بلا هوية، بلا اسم يعرفه الأطباء، كانت درجة حرارتها مرتفعة، والممرضة تحاول تهدئتها، لكن لم يكن هناك من يسأل عنها.

احتاجت ليلى علاجًا للحروق، لكن المستشفى كان يعاني من نقص حاد في الأدوية "الممرضة قالت لي لازم نجيب المراهم من الصيدليات الخارجية، بس الأسعار كانت خيالية.. كيف بدي أدبرها؟ ما كنت أعرف، بس كنت مستعدة أعمل أي شيء مشان تتحسن"، تروي الخالة وهي تحتضن الطفلة ليلى.

بعد شهرٍ من العلاج، خرجت ليلى من المستشفى، لكن الضرر كان قد وقع، عيناها اليمنى لم تعد كما كانت، وبؤبؤها فقد القدرة على التفاعل الطبيعي مع الضوء، "لم تكن الجروح في جسدها وحدها المشكلة، بل الألم النفسي الذي يزداد يومًا بعد يوم" تقول ابتسام بأسى.

ويعدّ ما تعرّضت له ليلى وعائلتها والنازحين في المدرسة وقتل المدنيين، انتهاك لنص المادة (32) من اتفاقية جنيف الرابعة، الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب، والتي تحظر على القوة المحتلة اتخاذ تدابير تؤدي إلى المعاناة الجسدية، أو القضاء على السكّان المحميين، خاصة القتل أو التعذيب أو الإبادة الجماعية.

منذ خروجها، لم تفارق خالتها، كلما سمعت صوت انفجار، كانت تركض نحوها، تقول ابتسام: "تختبئ عندي، تلزق فيّ (تلتصق) وما تتركني.. كل ليلة قبل ما تنام بتحكي لي: ماما، احضيني".

ابتسام لم تكن غريبة عن تربية الأطفال، فهي أم لثمانية، أربعة منهم متزوجون، كرّست حياتها لتربيتهم، لكنها لم تجد صعوبة في التأقلم مع ليلى رغم الألم الذي تعيشه الطفلة، زوجها الذي كان من عمال الداخل المحتل، احتُجز في الجنوب منذ بداية الحرب، لتجد نفسها وحيدة تعيش على المساعدات الإغاثية القليلة التي تصل بصعوبة.

توجب المادة (24) من نص اتفاقية جنيف توفير الحماية للأطفال المتأثرين بالحرب، خاصة الذين يعانون من الصدمات النفسية، كما تنص المادة (55) على أن القوة المحتلة مسؤولة عن تأمين الغذاء والاحتياجات الأساسية للسكان المدنيين، ومنع المجاعة أو نقص التغذية.

ابتسام التي تعيش حاليًا في حي الشجاعية، هي الوحيدة المتبقية في شمال غزة لشقيقتها لبنى، وكانت تزورها بين حين وآخر، اليوم وجدت نفسها مسؤولة عن طفلة لم تعد تعرف سوى الخوف والصمت.

في ظل الحرب، لم يكن تأمين الطعام سهلًا، تروي: "طلبت ليلى تفاحة، وأنا دورت عليها في السوق، حتى لو سعرها غالي.. كيف بدي أقولها لا؟ فقدت كل شيء، ما بقدر أحرّمها حتى من الأكل". تختم الخالة: "لما تكبر، راح تعرف إنها الناجية الوحيدة، وإنه عيلتها راحت في لحظة.. بس أنا؟ راح أعيش كل عمري أحاول أعوضها، وأنا بعرف إنه في فراغ، مستحيل يتعوض".



كتبت الصحفية
نيللي المصري

مؤسسات ذوي الإعاقة في الحرب... "أصابنا الشلل"

"حياتي في خطر"، هكذا لخصت زهرة المدهون (39 عامًا)، معاناتها وتدهور حالتها الصحية، بعدما فقدت حقها في العلاج، بسبب تدمير المؤسسات التي كانت تقدّم الخدمات لذوي وذوات الإعاقة في قطاع غزة. فالشابة التي تعاني من الإعاقة الحركية، نتيجة إصابتها بشلل نصفي، والمریضة بارتفاع الضغط والسكر وسرطان الغدة النخامية منذ سنوات، تدهورت حالتها الصحية أكثر خلال الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، والتي بدأت منذ 7 أكتوبر 2023م، وما زالت مستمرة. تقول زهرة: "نزلت منذ بداية الحرب عدّة مرات، حتى عدت إلى غزة مع دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في يناير 2025م، أفقدت أدويتي خاصة أدوية الضغط وإبر الأنسولين، ولا يمكنني شراء المتوفر منها في الصيدليات". تسكن زهرة مع شقيقها في مدينة غزة، فوالداها متوفيان، وتحتاج لمزيد من الرعاية لكن الوضع الاقتصادي لشقيقها حال دون ذلك، كما تحتاج فحوصات دورية، لكنها فقدت كرسيها المتحرك أثناء النزوح بسبب سرقة بطاريته، تقول لم يكن من السهل نقله معي فتركته، وثمان الكرتسي يصل لألفي دولار، وأنا لا أملك هذا المبلغ".

تختم: "كنت من خلال عمل المؤسسات الخاصة بذوي الإعاقة أحصل على الأدوية والكشف الدوري والكرسي المتحرك، لكن خلال الحرب فقدت هذه الخدمات".

تتشابه معاناة ذوي وذوات الإعاقة في قطاع غزة، فهم كانوا يعتمدون بشكل كبير على ما تقدّمه مؤسساتهم من خدمات كانت منقوصة أصلًا قبل الحرب بسبب شحّ الإمكانيات، وشلّت قدراتها أكثر بسبب الحرب.

"أحنا مش عايشين"، قالها يوسف عواد (45 عامًا)، ثم اتكأ على كرسيه وقد بدا عليه الإعياء، يضيف: "منذ بدء الإبادة حتى الآن لم أتلّق أي علاج ولا يتم تقديم أي خدمات لنا، حتى الغذاء بالكاد يتوفر في ظل إغلاق المعابر وعودة الحرب من جديد".

منذ بداية الحرب، نزح يوسف وعائلته إلى جنوب قطاع غزة عندما أجبر جيش الاحتلال سكّان الشمال على ذلك، وعاد إلى غزة مع دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ، وبعد معاناة أكثر من عام فقد خلالها كل الخدمات، كان يأمل أن تتحسن الأوضاع.

يتساءل يوسف: "أيعقل أن أتناول وجبة واحدة يوميًا عبارة عن معلبات من الفول أو البازيلاء؟ حالتي الصحية تحتاج تغذية سليمة لكنني أفتقد ذلك بشدة".

يكمل: "الاحتلال دمر كافة المؤسسات الخاصة بذوي الإعاقة، ورغم أنني لم أتلّق كامل الخدمات، لكنني كنت أستطيع متابعة حالتي الصحية بشكل دوري، والآن لا أستطيع إجراء أي فحوصات ولا عمل تحاليل، ولا أقوى على القيام بأي جهد".

وتنص اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، التي صادقت عليها إسرائيل عام 2012م، الدول الأطراف باتخاذ "جميع التدابير الضرورية"، انطلاقًا من القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان، لضمان حماية وسلامة الأشخاص ذوي الإعاقة في حالات النزاع المسلح.

تقول سوسن الخليلي، عضو اللجنة البارالمبية لذوي الإعاقة، إن ذوي الإعاقة كانوا قبل الحرب يحصلون على الخدمات الخاصة بهم بصعوبة بسبب الحصار، والآن بعد تدمير مؤسساتهم، شلّت الخدمات بشكل كبير، سواء على مستوى توفير الأدوية، التي اضطروا لشراؤها بثمن باهظ، أو الخدمات الحقوقية والتعليمية والصحية والإغاثية.

وشرحت: "معظم مؤسسات ذوي الإعاقة لديها مدارس توقفت عن تقديم خدماتها بسبب التدمير، ومنها مؤسسات صحية وتأهيلية وعلاج طبيعي، أصبحت غير قادرة على تقديم أي خدمات لذوي الإعاقة، أصبحنا في كارثة مع ازدياد أعداد ذوي الإعاقة بسبب حرب الإبادة".

وتابعت أن الاحتلال دمّر خلال الحرب مقر الاتحاد العام لذوي الإعاقة، وسُرقت محتوياته، ونزح معظم أعضاء مجلس الإدارة إلى جنوب القطاع، وبدأ العمل مع الفروع الموجودة بالجنوب، وتقديم مجموعة من الأدوات المساعدة، كالعكاز، الكراسي المتحركة، الشوادر، براميل المياه، خيام، فراش وأغطية، ومساعدات مالية، وإقامة مخيمات خاصة بذوي وذوات الإعاقة.

أما في الشمال، فتوضح: "لم تصلهم المساعدات بسبب النزوح المتكرر إلى المدارس والأقارب والخيام، وانقطاع التواصل معهم، إضافة إلى معاناتهم من توقّف مستشفيات وزارة التنمية الاجتماعية منذ بدء الحرب".

معظم الأشخاص ذوي الإعاقة كانوا بحاجة إلى تبديل أدوات المساعدة الخاصة بهم، فمثلاً، أصحاب الإعاقة السمعية انفجرت

سماعاتهم بسبب القصف والأصوات العالية، كونها مبرمجة على صوت معين، كما توضح الخليلي.

ويتفق معها حسن الزعلان، رئيس الاتحاد العام للمعاقين، بأن الحرب شلّت قدرة المؤسسات على إيصال المساعدات لذوي الإعاقة، وكانت أصعب تجربة تمرّ عليهم، بسبب النزوح المتكرر، وفقدانهم أدوات المساعدة الخاصة بهم، واستشهاد عدد كبير منهم بسبب عدم قدرتهم على مغادرة أماكنهم.

وعن القيود التي تعرضت لها مؤسسات ذوي الإعاقة، يقول الزعلان إن الاتحاد تواصل مع المؤسسات الدولية لتوفير بعض الأدوات، ونجحوا في ذلك، لكن الاحتلال أبقى هذه الأدوات أسيرة المعابر، وبعد محاولات عديدة، تم إدخالها إلى غزة، ولكن لم تكن المطلوبة، كالكراسي الكهربائية التي منعت دخولها.

وأضاف أن الاتحاد بذل محاولات عديدة لتغيير الأطراف الصناعية لذوي الإعاقة، فتواصلوا مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، المشرفة على مركز الأطراف الصناعية، والداعمة لمشاريع مستشفى حمد للأطراف الصناعية، ونجحوا في توفير بعض الأطراف، ولكن مع حرب الإبادة أصبح الطلب عليها كبيراً مع ازدياد حالات البتر.

وأكد أنه بسبب حرب الإبادة لم يتمكن الاتحاد من توفير الأدوية الخاصة بذوي وذوات الإعاقة، وحاولت الإغاثة الطبية والنقاط الصحية للأشخاص ذوي الإعاقة توفير بعضها ولكن بتواصلهم مع جهات ذات علاقة والصيدليات فإنها فارغة، والمرضى لا يستطيعون ممارسة حياتهم دون هذه الأدوية.

وختم بأنه تم مخاطبة منظمة الصحة العالمية وإخبارهم بما يتعرّض له ذوي وذوات الإعاقة، وكانت هناك تدخلات بإخراج أربعين حالةً منهم خارج قطاع غزة.

سماعاتهم بسبب القصف والأصوات العالية، كونها مبرمجة على صوت معين، كما توضح الخليلي.

ويتفق معها حسن الزعلان، رئيس الاتحاد العام للمعاقين، بأن الحرب شلّت قدرة المؤسسات على إيصال المساعدات لذوي الإعاقة، وكانت أصعب تجربة تمرّ عليهم، بسبب النزوح المتكرر، وفقدانهم أدوات المساعدة الخاصة بهم، واستشهاد عدد كبير منهم بسبب عدم قدرتهم على مغادرة أماكنهم.

وعن القيود التي تعرضت لها مؤسسات ذوي الإعاقة، يقول الزعلان إن الاتحاد تواصل مع المؤسسات الدولية لتوفير بعض الأدوات، ونجحوا في ذلك، لكن الاحتلال أبقى هذه الأدوات أسيرة المعابر، وبعد محاولات عديدة، تم إدخالها إلى غزة، ولكن لم تكن المطلوبة، كالكراسي الكهربائية التي منعت دخولها.

وأضاف أن الاتحاد بذل محاولات عديدة لتغيير الأطراف الصناعية لذوي الإعاقة، فتواصلوا مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر، المشرفة على مركز الأطراف الصناعية، والداعمة لمشاريع مستشفى حمد للأطراف الصناعية، ونجحوا في توفير بعض الأطراف، ولكن مع حرب الإبادة أصبح الطلب عليها كبيراً مع ازدياد حالات البتر.

وأكد أنه بسبب حرب الإبادة لم يتمكن الاتحاد من توفير الأدوية الخاصة بذوي وذوات الإعاقة، وحاولت الإغاثة الطبية والنقاط الصحية للأشخاص ذوي الإعاقة توفير بعضها ولكن بتواصلهم مع جهات ذات علاقة والصيدليات فإنها فارغة، والمرضى لا يستطيعون ممارسة حياتهم دون هذه الأدوية.

وختم بأنه تم مخاطبة منظمة الصحة العالمية وإخبارهم بما يتعرّض له ذوي وذوات الإعاقة، وكانت هناك تدخلات بإخراج أربعين حالة منهم خارج قطاع غزة.

حتى وقت الإبادة... فتيات يشتكين التحرش



"كالسارق كان يتلصص النظرات وأنا في دائرة صراع، شعورٌ بالخوف والرغبة والتوتر يلاحقني، كان لزامًا عليّ أن أذهب إلى دورة المياه في مركز الإيواء، بينما نظرات ذلك الشخص تطاردني ولا ترحم خجلي أثناء ذهابي وإيابي، أصبحت في حالة نفسية سيئة، دومًا أشعر أنني مُراقبة".

بهذه الكلمات، تحدث الشابة أمل (اسم مستعار) واصفةً ما يحدث معها، أثناء ذهابها إلى دورة المياه في المخيم الذي نزحت إليه هي وعائلتها، وتعرّضها المستمر للمضايقات من قبل ذكور نزحوا إلى مركز الإيواء نفسه (مدرسة).

منذ شنّ الاحتلال الإسرائيلي حربًا على قطاع غزة يوم 7 أكتوبر 2023م، وأجبر أكثر من 2 مليون من سكّان القطاع على النزوح من أماكن سكنهم، اكتظت مراكز الإيواء (المدارس) والمخيمات بالنازحين الذين يعيشون في خيام، وباتت العائلات بكل أفرادها يستخدمون المراحيض عامة، وهو أمرٌ جعل النساء في حالة انتهاك لخصوصيتهن، كما تسبب في تعرّض بعضهن للتحرّش والمضايقات.

عودة إلى الشابة أمل (20 عامًا) والتي كانت تجلس داخل الفصل، وتروي شهادتها بحرج: "كان بعض الذكور يتلصصون النظرات من شبّاك المرحاض، بفعل علو الطوابق في المدرسة، وخلوها من المراحيض، وهذا أثر سلبيًا عليّ أنا وأمي وجدّتي ذات الإعاقة، وزوجة أخي التي أنجبت بعد

عملية قيصرية داخل مركز الإيواء، عانيت من حالة نفسية سيئة بسبب ما أُعْرِضَ له".
تكمل: "فوجئت مرّة بشابٍ يفتح الباب بشكلٍ همجي، كنت أذهب إلى المرحاض وأقف وسط طابورٍ مكتظٍ أنتظر دوري، وهذا تسبب لي بالتهابات تناسلية، وأصبت بالكبد الوبائي الذي حرمني من احتضان طفلي والعناية به، تدمّرت نفسيّتي تمامًا، وعانيت من نوباتٍ اكتئاب".

وفي شهادة أخرى، لسيدة تعيش داخل خيمةٍ في أحد مخيمات النزوح، تروي تعرّض بناتها لمضايقات لفظية أثناء ذهابهن وإيابهن من دورة المياه.

تقول: "لا يهدأ لي بال حين تذهب بناتي إلى المرحاض، بسبب بُعد المسافة، وجلوس شبان بالقرب من المرحاض، وسماعهن لمضايقات جعلتهن يترددن كثيرًا قبل الذهاب، وهذا أثر عليهن، وعرّضهن لمشاكل صحية، إلى جانب خوفهن والأرق الذي أصابهن نتيجة ذلك".
وتابعت: "أحيانًا كنت أرسل ابنتي الوسطى كي تحجز لنا دورًا لاستخدام المرحاض بسبب اكتظاظ الدور، وعانيت أنا بشكلٍ استثنائي كوني أمّ لفتاة مريضة في مقبّل العمر، وتعدّد حالة خاصة بسبب ظروفها الصحية، ولم تكن المراحلض ملائمة لحالتها".

وأعربت السيدة عن خوفها على بناتها لأنهن يواجهن عنف الحرب، وما ترتّب عليه من عنفٍ في الخيام بسبب انعدام الخصوصية، وخوف الطائرات التي تحوم فوق رؤوس الناس طوال الليل، والخوف من الكلاب الضالة، ناهيك عن أوتاد الخيام المغروسة كالفخ، وهذه بعض المخاوف التي تسردها النساء.

تسببت الحرب الإسرائيلية المستمرة على قطاع غزة، ونزوح مئات آلاف العائلات، في انتهاك لخصوصية النساء الفلسطينيات، وأحدث زعزعة في حالتهن النفسية.

بدورها تقول الأخصائية النفسية ومديرة الحالة في مركز شؤون المرأة، هبة النجار أن سبب ما يحدث هو حالة الحياة التشاركية التي فرضتها الحرب على النساء، فالمراحلض مشتركة وشبه مكشوفة وبعيدة عن أماكن تواجدهن.

وأضافت النجار أن هناك سيدات تعرّضن لمضايقات لفظية وجسدية والتحرش، مما انعكس سلبيًا على صحتهن النفسية، موضحة أن شكوى النساء الأساسية تتمثل بصعوبة حصولهن على حقّهن الطبيعي بالاستحمام وقضاء الحاجة خاصة وقت الدورة الشهرية وحالات النفاس.

ويتنافى ما تتعرض له النساء مع اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين وقت الحرب، وخاصة المادة (27) التي تنص على حماية المدنيين وشرفهم وحقوقهم العائلية والدينية وعاداتهم وتقاليدهم، ضد جميع أشكال العنف والتهديد والسباب وفضول الجماهير، كما وفرت حماية خاصة للنساء.

وتابعت النجار أن المضايقات اللفظية (المعاكسات) لاحقت فتيات خلال ذهابهن وإيابهن من دورة المياه، وعانين من مضايقات لفظية وتلميحات مخجلة انتهكت خصوصيتهن.

عملية قيصرية داخل مركز الإيواء، عانيت من حالة نفسية سيئة بسبب ما أُعْرِضَ له".
تكمل: "فوجئت مرّة بشابٍ يفتح الباب بشكلٍ همجي، كنت أذهب إلى المرحاض وأقف وسط طابورٍ مكتظٍ أنتظر دوري، وهذا تسبب لي بالتهابات تناسلية، وأصبت بالكبد الوبائي الذي حرمني من احتضان طفلي والعناية به، تدمّرت نفسيّتي تمامًا، وعانيت من نوباتٍ اكتئاب".

وفي شهادة أخرى، لسيدة تعيش داخل خيمةٍ في أحد مخيمات النزوح، تروي تعرّض بناتها لمضايقات لفظية أثناء ذهابهن وإيابهن من دورة المياه.

تقول: "لا يهدأ لي بال حين تذهب بناتي إلى المرحاض، بسبب بُعد المسافة، وجلوس شبان بالقرب من المرحاض، وسماعهن لمضايقات جعلتهن يترددن كثيرًا قبل الذهاب، وهذا أثرٌ عليهن، وعرّضهن لمشاكل صحية، إلى جانب خوفهن والأرق الذي أصابهن نتيجة ذلك".
وتابعت: "أحيانًا كنت أرسل ابنتي الوسطى كي تحجز لنا دورًا لاستخدام المرحاض بسبب اكتظاظ الدور، وعانيت أنا بشكلٍ استثنائي كوني أمً لفتاة مريضة في مقبّل العمر، وتعدّد حالة خاصة بسبب ظروفها الصحية، ولم تكن المراحلض ملائمة لحالتها".

وأعربت السيدة عن خوفها على بناتها لأنهن يواجهن عنف الحرب، وما ترتّب عليه من عنفٍ في الخيام بسبب انعدام الخصوصية، وخوف الطائرات التي تحوم فوق رؤوس الناس طوال الليل، والخوف من الكلاب الضالة، ناهيك عن أوتاد الخيام المغروسة كالفخ، وهذه بعض المخاوف التي تسردها النساء.

تسببت الحرب الإسرائيلية المستمرة على قطاع غزة، ونزوح مئات آلاف العائلات، في انتهاك لخصوصية النساء الفلسطينيات، وأحدث زعزعة في حالتهن النفسية.

بدورها تقول الأخصائية النفسية ومديرة الحالة في مركز شؤون المرأة، هبة النجار أن سبب ما يحدث هو حالة الحياة التشاركية التي فرضتها الحرب على النساء، فالمراحلض مشتركة وشبه مكشوفة وبعيدة عن أماكن تواجدهن.

وأضافت النجار أن هناك سيدات تعرّضن لمضايقات لفظية وجسدية والتحرش، مما انعكس سلبيًا على صحتهن النفسية، موضحة أن شكوى النساء الأساسية تتمثل بصعوبة حصولهن على حقّهن الطبيعي بالاستحمام وقضاء الحاجة خاصة وقت الدورة الشهرية وحالات النفاس.

ويتنافى ما تتعرض له النساء مع اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية المدنيين وقت الحرب، وخاصة المادة (27) التي تنص على حماية المدنيين وشرفهم وحقوقهم العائلية والدينية وعاداتهم وتقاليدهم، ضد جميع أشكال العنف والتهديد والسباب وفضول الجماهير، كما وفرت حماية خاصة للنساء.

وتابعت النجار أن المضايقات اللفظية (المعاكسات) لاحقت فتيات خلال ذهابهن وإيابهن من دورة المياه، وعانين من مضايقات لفظية وتلميحات مخجلة انتهكت خصوصيتهن.



كتبت الصحفية
وصال ضهير

طريق آخر للموت عبر مرضاض النزوح

"كنا ندخل الحمام كل خمس صباحا مع بعض". قالتها الشابة رغد صافي، وأطلقت ضحكة ساخرة، مليئة بالقهر والمرارة، ثم هزّت رأسها بحزن بينما تتلاشى ابتسامتها خلف دموع بدأت تترقرق في عينيها!

كانت رغد تسكن منطقة القرارة شرق محافظة خانيونس جنوب قطاع غزة، وخلال حرب الإبادة التي يشنها جيش الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة، منذ 7 أكتوبر 2023م، نزحت عائلتها صوب مدرسة اسمها "قنديلة" في خانيونس، وهناك عاشت أوضاعاً قاسية نتيجة حصار جيش الاحتلال الإسرائيلي للمدرسة، ووضع قناص قبالتها مباشرة لمنع أي حركة داخلها أو خارجها.

تشرّد رغد بنظرها لدقائق وهي تنظر للفراغ في خيمتها الصغيرة التي تعيش فيها حالياً مع عائلتها بمنطقة مواصي خانيونس غرب مدينة خانيونس، جنوب قطاع غزة، وبصوتٍ متهدّجٍ تقول: "حين اجتاح جيش الاحتلال خانيونس في ديسمبر 2023م، نزحت عائلتي إلى مدرسة قنديلة غرب المدينة، اعتقدنا أنها آمنة".

"كنا نخاف الذهاب إلى دورة المياه بسبب القناص الموجود قبالة المدرسة، نضطر للصمود حتى يحلّ الليل، ظننا أنّنا إنّه عند حلول الظلام يصعب على القناص رؤينا، فلا يستهدفنا"، تقول رغد ثم تعود لتطلق ضحكة ساخرة مليئة بالقهر، تستطرد: "كان لي بيت من ثلاثة طوابق في القرارة، عشت فيه بحب مع عائلتي، لكن حياة النزوح شيء آخر".

تسقط الدموع من عينيها وهي تتذكر المشاهد القاسية التي عاشتها، "الشهداء كانوا يسقطون على الأرض غارقين بدمائهم، ولا سبيل لتشيعهم".

تهمس رغد وهي تكمل: "النساء كانوا يقسموا أنفسهم مجموعات، كل خمسة يذهبن إلى دورة المياه مرة واحدة، ونحن الفتيات كذلك، كل خمسة مع بعض ندخل الحمام سوياً، كل واحدة تقضي حاجتها بسرعة، وباقي البنات يلقوا وجههم الناحية الثانية، وبعدين نطلع".

شعور بالألم النفسي، رافق الشابات والنساء خلال توجههن إلى مرحاض الموت، بسبب فقدانهن للخصوصية، وشعورهن بالحرج أثناء قضاء حاجتهن، فضلاً عن عدم تمكنهن من المكوث وقت كافٍ لقضاء الحاجة، ما جعل ذلك عبئاً كبيراً عليهن.

ويعدّ ما تعرض له النازحون داخل مدرسة قنديلة، انتهاكاً لاتفاقية جنيف الرابعة التي تحظر في مادتها (3) الاعتداء على المدنيين بالقتل أو التعذيب، كما تنص المادة (27) على أنه للأشخاص المحميين حق الاحترام لأشخاصهم وشرفهم وحقوقهم العائلية وعاداتهم وتقاليدهم، وهو ما لم يحدث في حالة رغد.

تتنهد رغد وتطلق زفرة قوية وهي تكمل: "بعد اشتداد الحصار، أصبح جنود الاحتلال يستهدفون كل شخص يحاول الاقتراب من دورات المياه، مما زاد من معاناتنا كنساء، عانينا من صعوبة الوصول إلى دورات المياه، ونقص في الأدوات الصحية الخاصة بنا، من فوط وصابون، خاصة أوقات الدورة الشهرية".

ومع استمرار جنود الاحتلال باستهداف الخيام المنصوبة داخل المدرسة، خاصة القريبة من دورات المياه، قام الناس بعمل فتحة بين مدرسة قنديلة، ومدرسة الشيخ جبر المجاورة لها، في محاولة منهم للخروج من المدرسة بحثاً عن الأمان.

ترتجف شفتا الشابة وهي تكمل: "اكتشف الجنود أمر الفتحة، وأطلقوا النار نحوها، فحاول الناس عمل فتحة أخرى في الجهة المقابلة لمدرسة الشيخ جبر، كي نستطيع الإخلاء وترك مدرسة قنديلة المحاصرة".

تقطع الحديث الشابة أماني صافي، ابنة عم رغد وصديقتها ورفيقتها في النزوح، جاءت لتناديها من أجل مواصلة ترتيب خيمتهم، قبل الذهاب إلى البسطة المتواضعة التي يعملن عليها: "حاولنا الخروج عن طريق الحلابة (الحاجز الذي أنشأه جيش الاحتلال)، لكن الأمر صعب، بسبب تنكيل جنود الاحتلال بالنازحين عن طريق الحلابة".

تشير أماني بإصبعها إلى بسطة صغيرة قبالة مخيم النازحين الذين يقيمون فيه معقبة: "تحاول مساعدة أسرنا قدر الإمكان في توفير بعض المصاريف".

تعود للحديث عما حدث معهم وهم يحاولون الخروج عن طريق الحلابة: "اعتقلوا جدي المسن، عمره (62 عاماً)، لذا قررنا العودة إلى خانيونس ولكن هذه المرة إلى مدرسة مختلفة، اسمها مدرسة الحوراني، أيضاً استمرت معاناتنا في الذهاب إلى دورات المياه، وكنا نذهب إليها مجموعات تمامًا كما المرة السابقة، حتى تمكننا من الخروج إلى مدينة رفح قبل اجتياحها خلال شهر مايو 2024م ونزوحنا

إلى هنا في هذه الخيام".
أخذت رغد نفسًا عميقًا حبسته في صدرها وهي تستمع لابنة عمها أماني، ثم زفرت بشدة وهي تقول: " هنا عانينا من مدة الانتظار الطويل وسط طابور طويل، من أجل دخول دورات المياه، بسبب العدد الكبير من النازحين، ونقص المياه، ونقص الأدوات الصحية الخاصة بالنساء، معاناة متواصلة من أجل الوصول إلى دورة المياه".
تطلق رغد ضحكة ساخرة مليئة بالحسرة وهي تمسح دموعًا تساقطت من عينيها، وتختتم حديثها: "حتى بعد ما رجعنا خانيونس، ضلّت نفس المشكلة في الذهاب إلى دورات المياه، معاناة مستمرة".

الاعتقال التعسفي في غزة.. أمهات في انتظار مصير أبنائهن المجهول



بعد 470 يومًا من الإبادة الجماعية، أُبرم أخيرًا اتفاق لوقف إطلاق النار يتضمن 3 مراحل؛ عاد النازحون إلى الشمال، وودّع المفجوعون أحبّتهم الذين رحلوا، لكن من لا يزال له غائب يترقب بقلق، ومن له أسير في سجون الاحتلال ظل معلقًا بأمل، لعلّه يكون ممن يُفك قيدهم ويعود إلى أحضان ذويه في صفقة تبادل الأسرى.

لا تزال والدة الأسير م.م تعد الأيام والدقائق منذ اعتقال وحيدها بلا تهمة أو مبرر، لا سياسي ولا عسكري، عام وأسبوعان مضيا من الانتظار الطويل، ولا يزال القلق يسكن قلبها.

في مقابلة أجراها مركز الإعلام المجتمعي مع والدة الأسير م.م، روت بحسرة قصتها قائلة: "نزلتُ مع زوجي وابني الوحيد من شمال غزة إلى مقر الهلال الأحمر جنوب القطاع، لكن في 5 فبراير 2024 اقتحم الاحتلال المكان؛ أجبرونا على الخروج عبر الحلابات، سمحوا لي بالمضي، لكنهم انتزعوا ابني مني.. أخذوا روحي معه، - بقيت هناك خوفًا عليه، لكن في النهاية، اعتقلوه-".

تتابع بصوت مخنوق: "رأيتُه يُجرد من ملابسه مع مجموعة من الشباب، ثم ألقوا بهم في حفرة كبيرة تحاصرها الدبابات، بقيت لست ساعات واقفة بجوار الحلابات، أنظر إليه من بعيد، وأتوسل لهم أن يتركوه، فهو لم يزل شابًا

في العشرين من عمره، لم يرتكب أي ذنب، ولا ينتمي لأي فصيل سياسي. لكنهم أجبروني على الرحيل، وإلا اعتقلوني معه". كانت الأشهر السبعة الأولى هي الأصعب، إذ تنقلت العائلة بين أماكن النزوح، من خيمة إلى أخرى، تائهة بين القلق والخوف، دون أن تعرف مصير ابنها؛ هل هو معتقل أم مقتول؟ حي أم ميت؟ حاولت والدته بكل السبل معرفة أي خبر عنه، تواصلت مع المؤسسات الحقوقية والقانونية، لكن جميع محاولاتها باءت بالفشل. لكن مشيئة الله شاءت أن يلوح الأمل في أفق انتظارهم، فبعد سبعة أشهر، أُطلق سراح أسير كان يعرف م.م، ليحمل للعائلة خبراً طال انتظاره: "إنه محتجز في سجن النقب - قسم 2".

الزيارات الممنوعة والمعلومات المفقودة

عندما علمت العائلة بمكان احتجازه، أرسلت محامياً لزيارته، لكن إدارة السجون رفضت، كرروا المحاولة مرة أخرى، فجاءهم الرد: تم نقله إلى سجن آخر؛ ليكتشفوا لاحقاً أنه لا يزال في سجن النقب، لكن الاحتلال يمنع المحامين من زيارة الأسرى الغزيين. تقول والدته: "الحمد لله، إنه قيد الحياة، لكنني أموت قلقاً عليه، كل يوم أبكي وأفكر فيما يحدث له، خاصة وأن زميله المحرر أخبرنا أنه يعيش في خيمة داخل السجن، في ظروف صعبة غير إنسانية، حيث يقدم لهم طعام سيء وماء غير نظيف، ويتعرضون للضرب والإهانة المستمرة، خاصة عندما تتعثر المفاوضات، يضاعفون تعذيبهم".

تجديد الاعتقال دون محاكمة أو دليل

تُضيف أم م.م: "تواصلت مؤسسة 'هيموكيد'، وأبلغتنا أن الاحتلال حكم عليه بالسجن 6 أشهر بتهمة الانتماء لـ "حركة حماس"، وهو ما نفاه ابنها م.م تماماً؛ رغم ذلك، وبعد انقضاء مدة الحكم، تم تجديد اعتقاله لستة أشهر أخرى، دون أي محاكمة عادلة أو أدلة واضحة". تتابع الأم المكلومة: "رغم كل هذا الظلم والقلق، لا زلنا متمسكين بالأمل؛ وفقاً لمؤسسة هيموكيد، فإن ابني قد أكمل مدة حكمه بالكامل، بل وتجاوزها؛ مر عام وأسبوعان على ذلك، ونحن نأمل أن يتم الإفراج عنه قريباً، وأن يكون ضمن صفقة تبادل الأسرى المقبلة". قصة م.م هي مجرد واحدة من آلاف القصص التي تمثل معاناة آلاف الأسرى الذين اعتقلهم الاحتلال حرب الإبادة التي شنها على قطاع غزة؛ بعضهم أمضى شهوراً خلف القضبان قبل أن يُفرج عنه، بينما ما يزال آخرون يقبعون في غياهب المجهول، داخل سجون تفتقر لأبسط حقوق الإنسان واحتياجاته الأساسية.

التقينا بالمختص في شؤون الأسرى، عبد الناصر فروانة، ليحدثنا عن واقع الاعتقالات التعسفية، حيث قال، إن "الأسرى لم يسلموا من جرائم الحرب التي طالتهم، والتي تنوعت بشكل لا يُحصى، ما أدى إلى وفاة عشرات المعتقلين، وجعل حياة الأسرى جحيمًا لا يُطاق". تحولت السجون الإسرائيلية إلى جحيم حقيقي، وبيئة من معسكرات التعذيب، كما وصفها منظمة بتسيلم الإسرائيلية في تقرير لها، وهذا الوضع يشمل جميع الأسرى والمعتقلين في السجون الإسرائيلية، لكن الأبرز كان سجن 'سيديه تيمان' في صحراء النقب، حيث تحمل معتقلو غزة النصيب الأكبر من هذه المعاناة".

يستذكر فروانة تجربته الشخصية مع الاعتقال، حيث تعرض للاعتقال من قبل الاحتلال 4 مرات، وقضى سنوات في السجون، استمع خلالها إلى العديد من الشهادات لآخرين مروا بتجربة الاعتقال، وكتب العديد من الدراسات والمقالات التي وثقت واقع السجون الإسرائيلية في إطار عمله واختصاصه؛ لكنه يؤكد أنه لم يمر عليه مرحلة مثل هذه، فالأحداث التي كانت تُعتبر نادرة أو استثنائية في الماضي أصبحت اليوم سلوكًا يوميًا ودائمًا، وتحولت إلى ظاهرة تتسع باستمرار، لتصبح المرحلة الأخطر تاريخيًا.

تعتيم إسرائيلي حول مصير الأسرى

يضيف فروانة قائلًا، إن "لسان حال من اعتُقلوا خلال الحرب يقول: "من لم يُعتقل بعد 7 أكتوبر كأنه لم يُعتقل أبدًا؛ هذه الظروف المأساوية أسفرت عن استشهاد ما لا يقل عن 58 أسيرًا داخل سجون الاحتلال الإسرائيلي منذ بداية الحرب، من مختلف المناطق. هذا العدد من الشهداء في السجون يعد الأعلى تاريخيًا، حيث تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء هم من تم الإعلان عن استشهادهم ومعرفة أسمائهم وهوياتهم، بينما يقدر أن هناك عشرات آخرين من معتقلي غزة الذين استشهدوا، والذين تم الإعلان عن وفاتهم عبر وسائل الإعلام العبرية والدولية دون الكشف عن أسمائهم وهوياتهم".

وحول وجود إحصائية دقيقة لأعداد الأسرى من غزة، يخبرنا فروانة قائلًا، "لا توجد معلومات رسمية أو معطيات إحصائية دقيقة من الجانب الإسرائيلي حول عدد الذين تم اعتقالهم من غزة خلال الحرب، ولكن هناك تقديرات تشير إلى أن العدد يصل إلى حوالي 10,000 معتقل، وقد تم الإفراج عن آلاف منهم؛ ولا يُعرف بالضبط عدد الذين ما زالوا في سجون الاحتلال، خاصة في ظل التعتيم الإسرائيلي ومنع منظمة الصليب الأحمر من زيارتهم، كما ترفض سلطات الاحتلال تسليم قائمة بأسمائهم وأعدادهم وبيانات وافية عنهم وأماكن احتجازهم، ما يثير الكثير من القلق حول مصيرهم".

التعذيب الجماعي

يتابع فروانة قائلًا، "الاحتلال لم يقتصر على إخفاء المعلومات عن عائلات الأسرى فقط، بل أيضًا عن المؤسسات الحقوقية، ويرفض السماح للصليب الأحمر بزيارتهم أو الالتقاء بهم، ولا يسلم قوائم بأسمائهم، ما يكشف عن نوايا إسرائيلية سيئة ويثير العديد من علامات الاستفهام".

ويستكمل، "هذا الوضع يزيد من قلق الأهالي، ويُعدّ شكلًا من أشكال التعذيب الجماعي، و لا يُعرف إذا كانوا أحياء أم أموات، وقد أصبحوا جميعًا ضحايا للاختفاء القسري، وهم في عداد المفقودين، باستثناء ما يُكشف عنهم من خلال المعتقلين الذين يُسمح لهم بقاء المحامين أو من خلال المفرج عنهم".

يؤكد فروانة أن الاتفاقية الدولية لحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري، حظرت الاعتقال السري، وجُرمَ الاختفاء القسري، وأكدت على أن الاختفاء القسري عندما يمارس على نطاق واسع أو بطريقة منهجية، فإنه يشكل جريمة ضد الإنسانية كما تم تعريفها في القانون الدولي.

اشتدت ظروف احتجاز المعتقلين بشكل قاس منذ 7 أكتوبر، وتدهورت المعاملة أكثر، حيث أصبح التعذيب الجسدي والنفسي أكثر فظاعة، وتكررت الاعتداءات الجنسية وحالات الاغتصاب عدة مرات، بالإضافة إلى الضرب المبرح والتنكيل والتجويع والتعطيش، واستخدام المعتقلين دروعًا بشرية، وغيرها من الانتهاكات. شهادات المعتقلين حول هذه الانتهاكات، التي حصلت عليها هيئة شؤون الأسرى والمحررين ونشرتها عبر وسائل الإعلام، كانت صادمة ومروعة، كما أفاد عبد الناصر فروانة.

جهود حقوقية ومطالبات دولية

وحول الجهود الحقوقية والدولية للمطالبة بكشف مصير المعتقلين، يقول فروانة: "هناك جهود مبذولة من قبل طواقم هيئة شؤون الأسرى والمحررين، ونادي الأسير، ومؤسسات حقوقية أخرى لرصد ومتابعة الأوضاع داخل السجون، وكذلك لحصر أعداد وأسماء معتقلي غزة خلال الحرب، من جهة أخرى تعمل هيئة شؤون الأسرى بالتعاون مع الجهات المختصة، وخاصة اللجنة الدولية للصليب الأحمر، للحصول على أي معلومات حول هذا الموضوع". ويختتم فروانة حديثه بمطالبة مؤسسات المجتمع الدولي بتحمل مسؤولياتها الأخلاقية والإنسانية والقانونية، والتحرك العاجل والفعال لتوفير الحماية للأسرى والمعتقلين وفقًا للقانون الدولي، والكشف عن مصير معتقلي غزة خلال الحرب، سواء الأحياء منهم أو الأموات.



CDMCGAZA



WWW.CDMCGAZA.PS